

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي بونعامة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - قسم علم الاجتماع



مطبوعة محاضرات موجهة لطلبة السنة الثانية علم الاجتماع

مقياس منهجية البحث في علم الاجتماع



من إعداد:

الأستاذة ليندة لعماري

السنة الجامعية: 2022/2023

الفهرس:

04	ص.....تمهيد
06	ص.....المحور الأول: البحث العلمي
06	ص.....الدرس الأول: مفهوم البحث العلمي
16	ص.....الدرس الثاني: أنواع البحث العلمي، خصائصه ومراحله
21	ص.....الدرس الثالث: أهم العناصر المكونة للبحث العلمي (الباحث)
24	ص.....الدرس الرابع: أهم العناصر المكونة للبحث العلمي (المنهج العلمي)
29	ص.....الدرس الخامس: أهم العناصر المكونة للبحث العلمي (الموضوع)
33	ص.....المحور الثاني: مراحل القطيعة
33	ص.....الدرس السادس: تحديد سؤال الانطلاقة
38	ص.....الدرس السابع: جرد التراث النظري ورصد مجال البحث
43	ص.....الدرس الثامن: الإشكالية
54	ص.....المحور الثالث: بناء نموذج التحليل
54	ص.....الدرس التاسع: الفرضيات
59	ص.....الدرس العاشر: المفاهيم
62	ص.....الدرس الحادي عشر: الأبعاد، المؤشرات والمتغيرات
64	ص.....الدرس الثاني عشر: مرحلة المعاينة
75	ص.....المراجع



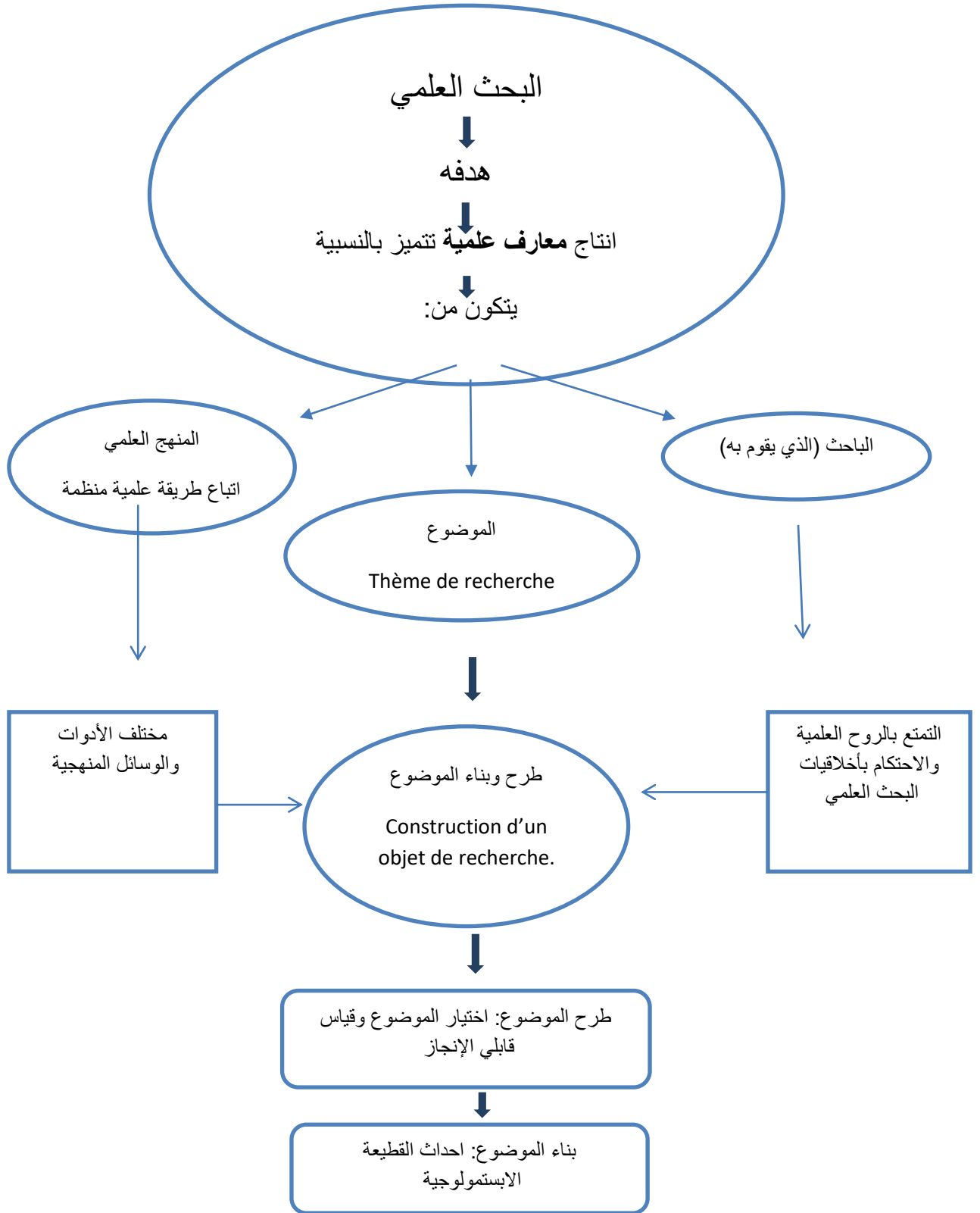
المحور الأول: البحث العلمي

تمهيد:

انطلاقاً من فكرة أن الهدف الأساسي من البحث العلمي هو انتاج معارف علمية وذلك باستخدام أو اتباع أساليب ومناهج علمية، فلقد ارتأينا أن نوزع الدروس على السداسي الثالث حسب ما جاء به محتوى المادة التعليمية المتمثلة في منهجية البحث في علم الاجتماع. المحاور التي في هذا السداسي الثالث يكون فيها التركيز على كل ما يخص البحث العلمي في علم الاجتماع بدءاً بمهيمته وذلك بالتطرق الى تعريفه، خصائصه، أنواعه وكذا العناصر المكونة له. وانطلاقاً من فكرة أن الهدف الأساسي من البحث العلمي هو انتاج معارف علمية كان من الضروري التطرق الى ماهية المعرفة و مراحل تطورها و كيف تطورت من معرفة ساذجة الى معرفة علمية أو ما يعرف بالعلم و التي تعتبر الهدف الأساسي من البحث العلمي، ثم في مرحلة أخرى تناولنا البحث العلمي كنشاط فكري حيوي- أي ليس بنشاط جامد- يستدعي ليس فقط التمكن من الوسائل المنهجية المتاحة و لكن أيضاً كنشاط يتفاعل فيه الباحث مع موضوع بحثه، و هو أمر يستدعي من الباحث اكتساب بعض من السلوكات تمكنه من التحكم في ذاتيته، و تكون المعارف المنتجة معارف علمية تتجاوز الأنواع الأخرى من المعارف، و كيف أن نجاح البحث العلمي يتطلب انسجام تام بين العناصر المكونة له و المتمثلة في الباحث، الموضوع و المنهجية المستخدمة.

أما فيما يخص السداسي الرابع، فخصصنا كل المحاضرات على أهم مراحل البحث العلمي وبما أن محتوى المادة التعليمية ركز على مراحل القطع والبناء فالمحاضرات الخاصة بهذا السداسي كانت تصب في مراحل بناء الإشكالية وكذا بناء النموذج التحليلي والذي يشمل على بناء الفرضيات وكذلك بناء المفاهيم، دون التطرق للمرحلة الأخيرة والتي تشمل على مرحلة الاثبات بشكل معمق ولكن حاولنا إعطاء فكرة عنها من خلال الدراسة الميدانية وكذا أدوات جمع المعطيات لاستكمال مسار البحث العلمي كاجتهاد منا لإثراء برنامج المادة التعليمية.

وعليه ستكون الدروس في السداسي الثالث حول موضوع البحث العلمي وهدفه الاساسي كما هو موضح في الشكل رقم 1، أما دروس السداسي الرابع ستكون حول مراحل البحث العلمي كما سبق وذكرناه آنفاً باستثناء مرحلة الاثبات.



الشكل رقم: 01 توزيع محاضرات السداسي الثالث حسب محور البحث العلمي

الدرس الأول: مفهوم البحث العلمي

نعيش اليوم في عصر تشهد البشرية فيه تطور هائل في مختلف مجالات الحياة، وهذا التطور ليس وليد الصدفة ولكنه وليد تطور العلوم باختلافها، والحديث عن العلم هو الحديث عن المعرفة العلمية التي تتميز بخصائص كثيرة ومتعددة كلها تشترك في تميز العلم عن اللاعلم. ولعل أهم ما يميزه عنه أن النظريات والنتائج العلمية ليست أبداً وليدة الصدفة أو ظروف خاصة وإنما هي بالضرورة وليدة **البحث العلمي**. فما المقصود بالبحث العلمي؟ وما هي خصائصه؟ وما هي العناصر الأساسية المكونة له؟

1. تعريفه: يوجد عدة تعريفات للبحث العلمي تحاول تحديد مفهومه ومعناه، قد تختلف في التعبير عنه وتتشكل باختلاف الأهداف و المجالات و أدوات مناهج البحث العلمي، حيث تختلف مداخلهم -سنتطرق لاحقاً في الدروس القادمة لمصطلح المدخل- و تتباين اتجاهاتهم، وفقاً للزاوية الخاصة التي ينظرون بها إلى مفهوم البحث العلمي، وحسب ميولهم أو قناعاتهم العلمية لكنها تلتقي جميعاً حول التأكيد أن البحث العلمي يسعى لدراسة مشكلة ما بقصد فهمها و حلها وفقاً لقواعد علمية دقيقة و هذا يعطي نوعاً من الوحدة بين البحوث العلمية، رغم اختلاف أغراضها و أهدافها، و تنوع مجالاتها و تخصصاتها و نطاق الدراسة فيها.

أ/ لغة: من خلال تحليل مفهومي المفردتين "البحث" و"العلم" التي يتشكل منهما مصطلح البحث العلمي والذي يعبر عنه في الفرنسية la recherche scientifique مصطلح البحث العلمي تشير المفردتين كل واحدة منهما إلى:¹

- **البحث:** لغوياً فهو مصدر الفعل الماضي (بحث) و معناه تتبع، سأل، طلب، تحرى و بهذا يكون معنى البحث هو طلب و تقصي حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور و هذا يتطلب التنقيب و التفكير و التأمل، وصولاً إلى شيء يريد الباحث الوصول إليه.
- **العلمي:** هي كلمة منسوبة إلى العلم الذي يتصف بخصائص تميزه عن سواه من المعارف من وضعية و موضوعية و دقة و غيرها من شأنه تمييز العلم عن اللاعلم، و العلم يعني المعرفة (رغم أنه ليس بمعرفة و لكن جزء منها) و الدراية و ادراك الحقائق. فالعلم طريقة بحث أكثر من مجموعة من القوانين.

¹ أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 26.

وبتركيب بين مدلول الكلمة الأولى ومدلول الكلمة الثانية تصبح عبارة البحث العلمي تعني لغة: التقصي والتفتيش والتتبع لموضوع هو موضوع علم وفق لقواعد وشروط هي الأخرى حكرا على العلم.

ب/ **ابستمولوجيا²**: البحث العلمي هو الفن الهادف، هو كذلك العملية العقلية المعقدة التي تقوم على الوصف والتفسير والتنبؤ. كما يمكن أن نعتبره نشاط ذهني ووسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول الى حل لمشكلة محددة، وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بهذه المشكلة. أي أن البحث العلمي من الناحية الابستمولوجية يعتبر فعلا معرفيا، أو نشاط علمي منظم يسعى الى كشف الحقائق معتمدا على مناهج موضوعية بغرض معرفة الارتباط بين هذه الحقائق ثم استخلاص المبادئ العامة والقوانين العامة أو القوانين التفسيرية.

ج/ **ميتودولوجيا³**: هو مجموعة من التقنيات والآليات والأدوات التي تشكل طريقة أو أسلوبا فكريا منتجا وهو بذلك له بداياته وحشوه ونهاياته أي له مراحل متتالية ومتتابعة. أو بطريقة أخرى هو مجموعة من القواعد والآليات الدقيقة الممكنة للمعاينة والتجريب والتأكد من الفروض العلمية المحددة للعلاقات السببية بين الظواهر.

وكما سبق ذكره، للبحث العلمي عدة تعريفات اصطلاحية ومن جملتها نجد:

البحث العلمي هو ذلك النشاط الفكري، "...أو الدراسة الموضوعية التي يقوم بها الباحث في أحد الاختصاصات الطبيعية أو الإنسانية التي تهدف الى معرفة واقعية ومعلومات تفصيلية عن مشكلة معينة يعاني منها المجتمع والانسان سواء كانت هذه المشكلة تتعلق بالجانب المادي أو الجانب الحضاري للمجتمع."

عرفه السيد علي أنه: "عملية تقصي منظمة بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة- للحقائق العلمية- بغرض التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها "

كما عرفه مجموعة من المفكرين على أنه: " عملية علمية تجمع الحقائق والدراسات، وتستوفي فيها العناصر المادية والمعنوية حول موضوع معين دقيق في مجال التخصص لفحصها وفق مناهج علمية مقررّة يكون للباحث منها موقف معين، ليتوصل من كل ذلك الى نتائج جديدة، هذه النتائج هي ثمرة البحث والغاية التي ينشدها الباحث من وراء العملية العلمية الفكرية سواء كانت نظرية، تجريبية وهي ما يعبر عنها علميا بالإضافة الجديدة .

2 أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، مرجع سابق ص26
3 نفس المرجع ص29

وهذا التعريف يلقي الضوء على العناصر الأساسية المكونة للبحث والمتمثلة في الموضوع، الباحث والأدوات المنهجية وكيف أن عملية البحث تكون من خلال تداخل أو تفاعل هذه العناصر الثلاث والتي سوف نتعرف عليها لاحقاً.

2. الهدف من البحث العلمي: يتخطى الهدف الرئيسي لأي بحث علمي مجرد وصف المشكلة محل الدراسة أو الظاهرة موضوع البحث، ليشمل فهمها وتفسيرها وتفكيكها وتحليلها وذلك بالتعرف عن المكانة التي تحتلها داخل الإطار الكلي للعلاقات المنظمة والتي تنتمي إليها، أي معرفة مكانتها وسط الظواهر الأخرى التي تنتمي إلى نفس الإطار الكلي (الذي نقصد به هنا في علم الاجتماع بالمجتمع)، ومن ثم صياغة تعميمات مفسرة للظواهر المختلفة التي تتداخل معها، وفي الأخير التوصل إلى نتائج منطقية باستخدام الاستنباط والاستقراء في آن واحد- فالنتائج هي بمثابة معارف علمية مصدرها الاستقراء والاستنباط-، وهنا تكمن أهمية البحث العلمي في هدفه الأساسي والمتمثل في **الكشف عن حقائق الأشياء** وأيضاً السعي وراء إيجاد إجابة لمختلف التساؤلات وحل المشكلات، ومن الأهداف الأخرى للبحث العلمي نجد:

- فهم قوانين الطبيعة والسيطرة عليها لخدمة الإنسان.

- دراسة الظواهر المختلفة واستنباط قوانين عامة أو نظريات تفسر تلك الظواهر والعلاقات التي تحكمها ومن ثم إمكانية التنبؤ بها والتحكم فيها ولكن ليس لدرجة إيجاد حلول نهائية لها باعتبار أن الظواهر الاجتماعية تتطور وتتغير في الزمن وحسب الظروف.

- تطوير المعرفة الإنسانية.

ومن هنا يمكن القول أن البحث العلمي هو الوسيلة المستخدمة للوصول إلى حقائق الأشياء ومعرفة الصلات والعلاقات التي تربط بينها، وهنا حقائق الأشياء هي ما يعرف بالمعارف العلمية

ويجب أن ننوه إلى نقطة مهمة فيما يخص طبيعة الحقائق التي يسعى البحث العلمي للكشف عنها، فهي نسبية غير مطلقة. فإذا اعتبرت هذه الحقائق المتوصل إليها مطلقة فإن هذا من شأنه أن يعوق عملية البحث والابتكار والابتكار وتطوير العلم. لأن الحقيقة النسبية تكون قابلة للتطوير باعتبار أن نهاية كل بحث هي في الواقع بداية لبحث جديد، فالمعرفة العلمية هي معرفة متنامية. ومن هنا لا بد التطرق إلى موضوع المعرفة العلمية بحيث أن الطالب في هذه المرحلة من التعلم لا بد له أن يميز جيداً بين أنواع المعارف التي توصل إليها الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض إلى يومنا هذا، خاصة أنه في مجال علم الاجتماع يتم التعامل مع المعارف غير العلمية والتي تكون

الأساس أو القاعدة لإنتاج معرفة علمية أو بالأحرى سوسيولوجية تتميز بالموضوعية. لذلك من المهم التعرف على معنى المعرفة، ومراحل تطورها وكيف أن المعرفة العلمية التي تمثل الهدف الأساسي للبحث العلمي لها خصائص وقواعد ومصادر تميزها عن باقي المعارف. فما هي المعرفة، وما هي أنواعها؟ وكيف تطورت بتطور الانسان؟

1.2 البحث العلمي والتماهي بين المعرفة والعلم:

• المعرفة:

المعرفة هي الاحاطة بالشيء أي العلم به أو ادراكه⁴. والمعرفة أشمل وأوسع من العلم بالرغم من ان كلمة المعرفة تعني العلم، ذلك أن المعرفة تشمل كل الرصيد الواسع والهائل من المعارف والعلوم والمعلومات التي استطاع الانسان، باعتباره كائنا ومخلوق يفكر ويتمتع بالعقل أن يجمعه عبر مراحل التاريخ الانساني الطويل بجواسه وفكره وعقله.

يقف وراء المعرفة ميل طبيعي في الانسان حب الاستطلاع والى فهم ما حوله وفهم نفسه وطبيعته البشرية، والمعرفة هي حاجة تتمثل في سعي الفرد الحصول على صورة واضحة، منظمة ومفهومة عن نفسه وعن العالم الخارجي المحيط به لتصبح الإطار المرجعي لسلوكه.

وهنا يقوم الفرد بتوحيد نشاطه العقلي وعملياته الادراكية الى المحافظة على اتساقه مع الإطار المرجعي الذي يتصرف بموجبه ليتكيف تكيفا جيدا ويجابيا مع بيئته الاجتماعية التي يعيش فيها ويتفاعل معها.

ونظرا لأهمية المعرفة، وضرورة دراستها من جميع الجوانب فقد بحثتها الكثير من العلوم الاجتماعية والفلسفية وتم تأسيس نظرية لها تعرف بنظرية المعرفة *L'épistémologie* وهي احدى فروع الفلسفة التي تبحث في أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها. كما تبحث نظرية المعرفة في مبادئ المعرفة الانسانية وطبيعتها ومصدرها وقيمتها وحدودها. ولم يقتصر الاهتمام بالمعرفة على الفلسفة وحدها، بل تعدى ذلك الى علم الاجتماع أيضا الذي أسس فرعاً يسمى علم الاجتماع المعرفة، والموضوع الأساسي لهذا الأخير يتمثل في دراسة الأصول الاجتماعية للأفكار والكشف عن ارتباط هذه الأفكار بالجوانب المختلفة للواقع الاجتماعي، في فترة تاريخية محددة زمانا ومكانا وكيف تؤثر هذه الأفكار بدورها في ذلك الواقع الاجتماعي.

ويرى جورج جورفيتش George Gurvitch أن علم الاجتماع المعرفة⁵ يقوم بدراسة العلاقة الوظيفية بين البناء الاجتماعي والفعل الاجتماعي من جهة والشكل المحدد للمعرفة والنظام الإيديولوجي من جهة أخرى.

روحي البعلبكي ومنير البعلبكي، قاموس المورد المزدوج، دار العلم، لبنان، الطبعة الحادية عشر، 2007، ص 1065.

⁵ Voir Georges Gurvitch, *Les Cadres sociaux de la connaissance*, Paris, Presses Universitaires de France, "Bibliothèque de sociologie contemporaine", 1966.

2.2 أنواع ومراحل تطور المعرفة:

هناك من يرى أن المعرفة نوعان⁶: معرفة غير علمية غالبا ما تشكل ما يطلق عليه بالحس المشترك ومعرفة علمية التي تشكل نوع من المعرفة المتنامية باستمرار موجهة نحو دراسة الظواهر والتحقق منها.

وهناك من العلماء من يقسم المعرفة الى ثلاث أنواع حسب الخاصية التي تتميز بها وأيضا حسب تطورها التاريخي وحسب مصادرها (أنظر الى أعمال أوغست كونت وقانون الحالات الثلاثة أين يرى أن معارفنا مرت بثلاث مراحل حسب تطور الانسان: الأولى لاهوتية، الثانية ميتافيزيقية والأخيرة وضعية. تكون المرحلة الأولى فيها المعارف كنقطة انطلاق ذكاء الانسان والمرحلة الأخيرة هي المرحلة الثابتة والنهائية أما المرحلة الثانية فتكون كفترة تضمن الانتقال بين المرحلتين⁷). فاذا كان الامر يتعلق بما يعرفه الانسان عن تعاقب الليل والنهار، وطلوع الشمس وغروبها دون معرفة العلاقات التي تربط بين هذه الظواهر، فان المعرفة في هذه الحالة هي معرفة حسية أي هي معرفة تعتمد على الحواس والخبرة الذاتية أو الصدفة والتجربة، أما انتقل تفكير الانسان من مرحلة الاحساس الى التأمل في الأسباب البعيدة أو فيما وراء الطبيعة كالبحث عن الموت والحياة، وصفات الخالق، أو التساؤل عن الوجود فان هذا النوع من المعرفة الذي يستحيل اثباته بالتجربة فهو المعرفة الفلسفية.

أما إذا استطاع الانسان عن طريق التجربة والملاحظة والفرضية التوصل الى تفسير الظاهرة بصورة علمية وأن يكرر التجربة عدة مرات ليتوصل الى نفس النتيجة فان المعرفة في هذه الحالة هي معرفة علمية.

1.2.2 المعرفة الحسية (السادجة أو التجريبية):

تعد من أقدم أنواع المعارف وأسهلها استنباطا واستنتاجا وملاحظة، اذ تعتمد أصلا على الحواس والخبرة اليومية التي لا تحتاج الى حجج أو براهين تدعم وجودها وتعزز مكانتها وتؤيد أفكارها وحقائقها. فالإنسان القديم قد توصل الى معارفه وخبراته ومعلوماته عن طريق المحاولة والخطأ أو عن طريق الصدفة والتجربة. واستطاعت معارفه أن تتطور وتصبح معارف مشتركة بين عدد كبير من الناس، وهي التي يطلق عليها بالآراء المشتركة أو الحس المشترك *Le sens commun* وبالرغم من افتقار هذا النوع من المعرفة الى الموضوعية في تفسير

⁶ أنظر موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الانسانية، (ترجمة) بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2004.

⁷ « Par la nature même de l'esprit humain, chaque branche de nos connaissances est nécessairement assujettie dans sa marche à passer successivement par trois états différents : l'état théologique ou fictif ; l'état métaphysique ou abstrait ; enfin l'état scientifique ou positif. Le premier est le point de départ nécessaire de l'intelligence humaine. Le troisième son état fixe et définitif. Le second est uniquement destiné à servir de transition » (Auguste comte, Cours de philosophie positive)

الظواهر الا أنها تعتبر الأساس الأول لأية معرفة علمية. وتأتي المعرفة الحسية بصورة بديهية لا تحتاج الى الأدلة والبراهين العلمية والموضوعية "فهي تقتصر على مجرد ملاحظة بسيطة تقف عند مستوى الادراك الحسي العادي دون أن تتجه الى إيجاد الصلات أو تسعى الى إدراك العلاقات القائمة بين الظواهر"⁸. وهي الأكثر انتشارا وتداولاً بين الناس من المعرفة الفلسفية والمعرفة العلمية نظراً لحاجتهم الماسة لها في حياتهم اليومية والعملية لقدرتها على تفسير جميع الظواهر والاحداث التي تقع في المجتمع ولبساطة مكوناتها وعناصرها التي تجعلهم مستعدين على قبولها والالتزام بنصوصها وتعاليمها.

بعض الأمثلة من المعرفة الحسية: غليان الماء يؤدي الى تبخره، التعرض الطويل لأشعة الشمس يؤدي الى ضربات الشمس، تشكل غيوم كثيفة يؤدي الى سقوط الأمطار.....

ما يميز المعارف الحسية أنها تتغير بصورة سريعة بين الفترة والأخرى بسبب تغير الظروف الطبيعية والاجتماعية التي يشهدها المجتمع ويسبب عدم اعتمادها على الأسس والحقائق الثابتة كما أنها تختلف من مجتمع الى آخر، فمستوى المعرفة الحسية في المجتمعات المتخلفة يختلف عن مستوى المعرفة الحسية في المجتمعات المتقدمة وذلك لاختلاف الظروف والخبرات. مثلاً تجد أن الاكتئاب يفسر على أنه مس شيطاني أو اصابة بعين في المجتمعات المتخلفة، اما في المجتمعات المتقدمة فتفسر على أساس أنها علة نفسية. وغالباً ما نعتد نحن في علم الاجتماع على هذا النوع من المعارف للإنتاج معارف علمية، لأنها معارف صحيحة، فقط لا يمكن لرجل الشارع تفسيرها على عكس عالم الاجتماع الذي يأخذ على عاتقه اعطاء تفسير لها وباستخدام الأدوات المنهجية يعيد بناؤها ويحولها الى معارف علمية.

2.2.2 المعرفة الفلسفية:

المعرفة الفلسفية ليست في متناول الرجل العادي، لأنها معرفة تتطلب جهد فكري فهي معرفة تأملية عقلانية تحتاج الى مستوى أعلى مما تتطلبه الحياة اليومية والمعرفة الحسية والتجارب الاجتماعية التي تشكل المكونات الأساسية للمعرفة الحسية أو التجريبية. والمعرفة الفلسفية هي أساس البناء الحضاري والفكري للإنسان والمجتمع.

فالمعرفة الفلسفية لا تقتصر على التجربة، ولا نصل اليها عن طريق الحواس، بل هي مجردة، تبحث فيما وراء الطبيعة وفي الموضوعات المعقدة مثل الوجود، صفات الله، ودليل اثباته وعلة الوجود....، اذن فهي تمثل مجموع المعارف والمعلومات التي يتحصل عليها الانسان بواسطة استخدام فكره وحواسه، فهو يستخدم أساليب التفكير

⁸ ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، نقلا عن عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار غريب للطباعة، 1976، ص21. نقلا عن سلاطينة بلقاسم وحسان الجليلي، محاضرات في المنهج والبحث العلمي، الكتاب الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 11.

والتأمل الفلسفي لمعرفة الأسباب والاحتميات البعيدة للظواهر، وهذا النوع من المعرفة الذي يتعذر حسمه بالتجربة المباشرة هو ما يعرف بالمعرفة الفلسفية التأملية⁹.

شهدت المعرفة الفلسفية تطوراً سريعاً لم تشهده البشرية خلال الحضارة الأوربية حيث قسمت المسائل الفلسفية الى ثلاث أقسام كبرى هي:

- مسائل ما وراء الطبيعة أو علم الوجود
- المسائل الأخلاقية
- المسائل المتعلقة بنظرية المعرفة.

3.2.2. المعرفة العلمية:

هي نوع من المعرفة المتنامية باستمرار وهي موجهة نحو دراسة الظواهر والتحقق منها¹⁰، والمعرفة العلمية هي من أرقى درجات المعرفة وأدقها كونها تأتي نتيجة مجهود فكري منظم يتخصص في دراسة الأشياء والظواهر والأحداث دراسة موضوعية حيادية تعتمد على خواصها وطبيعتها وكذا العلاقة بين ظاهرها وباطنها وفي نفس الوقت تبعد كل البعد عن التحيز والتعصب الأفكار الشخصية والذاتية التي يحملها الأشخاص الذين يقومون بدراساتها ووصفها وتحليلها.

مثلاً: إذا ما أجرينا دراسة حول تفشي ظاهرة الغش في أوساط الطلبة الجامعيين، لا يكفي القول إن هؤلاء الطلبة لم يتلقوا تربية سليمة، أو أنهم لا يملكون مبادئ أخلاقية، أو أنهم غير مؤهلين للدراسة في الجامعة..... لأنها تبقى أفكار ساذجة تفتقر للموضوعية والحياد وأيضا لدراسة علمية مبنية التحقق من صحة هذه الأفكار.

فاذا استطاع الانسان في مجال معين القيام بتجارب علمية وتطبيق المنهج العلمي سيسمح له أن يصل الى نتائج دقيقة فيما يتعلق بذلك المجال المعرفي فانه في هذه الحالة تصبح تلك المعرفة علما قائما بحد ذاته. **اذن المعرفة العلمية هي العلم الذي يتميز بخصائص وله مصدر ولغة خاصة به.**

⁹ أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط8، وكالة المطبوعات، الكويت، 1986، ص16. نقلا عن سلاطينة بلقاسم وحسان الجليلي، محاضرات في المنهج والبحث العلمي، مرجع سبق ذكره، ص12.

¹⁰ موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الانسانية، مرجع سبق ذكره، ص47

العلم أو ما يعرف بالمعرفة العلمية هو فعل معرفي يتركز على ظواهر تدركها الحواس وتحاول عن طريق البحث العلمي أن تجعلها مفهومة (أي الظواهر). وهي معرفة متنامية باستمرار كما سبق ذكره سابقا، موجهة نحو دراسة الظواهر والتحقق منها أي أن من بين مميزاتنا أنها مفتوحة على التحقق أي أنها تتطلب دائما حججا وبراهين وذلك من خلال نقدها واثرائها، كما تتميز أيضا بتطورها الدائم، فكل باحث لا يبدأ من الصفر. باختصار العلم هو نوع من المعرفة القائمة على الوقائع و التحقق المستمر، أي أنها نقيضة المعارف الفلسفية و كذا المعارف الساذجة اذ يعرف العلم على أنه: "مجموع المعارف الوضعية في اختصاص معين، منسقة حسب مبادئ واضحة و مؤكدة بطريقة عقلية، في مقابل الشائعة بين عامة الناس و الماورائيات، و الفلسفة و الفن و الدين"¹¹، و يعرف العلم في معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية أنه " مجموع المعارف المتكاملة و المبادئ و الكليات العامة المتعلقة بحقيقة ظاهرة معينة، و يقوم العلم على أساس الملاحظة و التجربة و لا يستند الى الميول الفردية أو الآراء الشخصية"¹²، من بين أهم خصائص العلم أو المعرفة العلمية نجد الموضوعية و هي نقيض الذاتية، فالموضوعية في الفعل العلمي تعني الحياد و الغاء الذات في جميع مراحل خطوات البحثي الذي ينتج المعارف العلمية. كذلك نجد الوضعية كخاصية للعلم وهي نقيض الميتافيزيقا والغيبية، فالعلم يتعامل مع الظواهر التي يمكننا الوصول اليها مباشرة. فالوضعية هي الحد الفاصل بين العلم واللاعلم¹³، فكلما ابتعدنا عن التخمين والتأمل واعتمدنا على الواقع وملاحظته واستقراته أصبحت معارفنا علمية وليست فلسفة كما نجد أيضا أن العلم يقوم على التقرير وليس على التقييم أي أن ما يجعل الفعل العلمي تقريريا اعتماد الباحث فقط على الملاحظة الحالية من الأحكام المسبقة للواقع أي يتعامل معه كما هو عليه وليس كما ينبغي أن يكون عليه. التعليل هي خاصية أخرى من خصائص العلم تعني البحث في العلل والأسباب، بالإضافة الى خاصية الدقة، التعميم والتخصص كلها خصائص يتميز بها العلم عن اللاعلم. فهي قبل كل شيء تستقي من التجربة العلمية تحتكم لشروط معينة ذلك أن العلم يتميز بالزعة الموضوعية.

¹¹ جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص184.

¹² أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ص368.

¹³ أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص9.

ب/ مصدر المعرفة العلمية أو العلم:

نجد أن بعض من العلماء المختصين في الاستمولوجيا يقرون أن المعرفة العلمية ناشئة أصلا عن التجربة، أي ملاحظة الواقع. ويؤكد هؤلاء أن العلم **استقرائي**¹⁴ انطلاقا من التأكيد السابق والمتكرر للظاهرة. أطروحة الاستقراء تمنح الأسبقية لجمع أكبر عدد من الملاحظات عن الظواهر ليتم استخلاص افتراضات عامة في مرحلة ثانية.

بالمقابل نجد هناك طرح آخر يدعم أطروحة **الاستنباط**¹⁵ التي تدعي أن العلاقات الممكنة بين الظواهر ما هي إلا بناءات فكرية يمكن التحقق منها في الواقع لاحقا، وفي نظر هؤلاء أن العلم استنباطي حسب هذه الأطروحة أي نطلق من بناء افتراضات في الأول، ثم يتم التحقق منها لاحقا.

في الواقع يمكن القول أن العلم حاضر في هاذين الاتجاهين، أي أن مصدره استقرائي و استنباطي في نفس الوقت، كون أن العلم يتضمن لحظات للاستدلال و أخرى للملاحظة. فعقل الباحث دائما أمام حركتين للفكر تبدوان وكأنهما في علاقة مستمرة وتقومان بأدوار متكاملة وأساسية في الممارسة العلمية. وسنوضح هاتين العمليتين في المحاضرات القادمة والمتعلقة بعملية بناء موضوع بحث في علم الاجتماع. في الأخير يمكن القول أن العلم يتشكل بحركتين: فهو من جهة يعمل على إقامة نظريات، و التي هي في الواقع مجموعة من الافتراضات المترابطة تقابل فيما يلائمها من وقائع ملاحظة، و هي عندئذ منبثقة عن الاستنباط. كما يحدث أيضا أن العلم وانطلاقا من الواقع الملاحظ أن يقدم افتراضات جديدة وهنا يكون العلم منبثق عن الاستقراء. هاتين الحركتين هما في تفاعل مستمر ولا يمكن الفصل بينهما.

ج/ البحث العلمي والأسلوب العلمي:

- **لغة العلم:** يجب التنويه إلى أهمية هذه النقطة، والمتمثلة في اللغة التي نستخدمها في العلم، فهذا الأخير يسعى إلى تفسير الواقع وفهمه، وللقيام بذلك نستعين بالرموز والألفاظ التي تمكن الباحث من الاستقراء والاستنباط. لذلك لا بد الاستعانة بمفردات خاصة قادرة على وصف العمل العلمي بأكثر دقة ممكنة، و للأسف كثيرون ما يتجاهلون هذه النقطة فرغم ظهورها على أنها ثانوية ولكن في الواقع تلعب دور كبير في اضاء الطابع العلمي على البحث.

فحتى وإن كانت هذه المفردات مستمدة من اللغة العادية فالعلم يمنح هذه الكلمات ميزة شكلية خاصة:

¹⁴ الاستقراء العلمي هو استدلال مستمد من ملاحظة الواقع (ظواهر، وقائع...) بهدف استخلاص افتراضات عامة، أنظر موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره. ص50

¹⁵ الاستنباط يستمد من افتراضات عامة بغية التحقق من صحتها في الواقع. أنظر موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره. ص50

- البحث عن أحادية معنى اللفظ (لا ينبغي أن تشير اللفظة على عدة معاني، أي تؤول من طرف الجميع بنفس الكيفية)
- الدقة: دقة اللفظ مهم لذلك وجب التعريف بها.
- الابتعاد عن الزخرفة اللغوية كاستعمال السجع والطباق.....

-اشتراطات الأسلوب العلمي في البحث: وهي الالتزام بـ:

- **الموضوعية:** تشير الموضوعية الى الالتزام الصارم بالمقاييس العلمية الدقيقة لضمان الابتعاد عن الأسلوب الذاتي وذلك بإدراج الحقائق والوقائع التي تدعم البحث وكذا الحقائق التي يتقاطع معها فالنتيجة لا بد ان تكون منطقية ومنسجمة مع الواقع ولا تناقضه، وعلى الباحث قبلها والاعتراف بما حتى ولو كانت لا تتطابق مع توقعاته أو رغباته.
- **التقيد بهدف البحث:** أي أنه على الباحث أن يتقيد بالغاية من البحث أو بالهدف منه حتى يتوصل الى النتائج المطلوبة وفق لهذا الهدف والا فقدت الدراسة قيمتها العلمية وجدواها.
- **الاعتماد على القواعد العلمية:** يتعين على الباحث الالتزام بتبني الأسلوب العلمي في البحث من خلال احترام جميع قواعده العلمية والتي يتطلبها لدراسة موضوع ما.
- **الانفتاح الفكري:** على الباحث الحرص على التمسك بالروح العلمية من خلال التطلع لاكتشاف حقيقة الأشياء من دون التشبث بالرؤية الأحادية ورفض حقائق أخرى ممكنة.
- **الابتعاد عن اصدار الأحكام النهائية:** الحقائق في العلم نسبية و هي وليدة البحث العلمي فكل الأحكام لا تكون الا من خلال براهين وحجج وحقائق التي تثبت صحة الاقتراحات الأولية، أي ان الباحث ملزم الاعتماد على ادلة كافية قبل اصدار أي حكم أو الحديث عن نتائج تم التوصل اليها.

1 أنواع البحث العلمي:

يمكن تقسيم مشاريع البحث العلمي الى ثلاثة أنواع وفق الغرض المنوط منه ولكن أيضا وفق أهدافه ووظائفه، وعليه يمكن استنتاج الأنواع التالية :

-**البحث الاستطلاعي أو الاستكشافي** : يتم اللجوء الى هذا النوع من البحوث في مناطق الاستعلام الجديدة و يكون الهدف منه توضيح حجم و مدى الظاهرة، استخراج أفكار أولية أو اكتشاف معالم الظاهرة بغرض التعرف عليها و فهمها.

مثال: البحث في موضوع المثلية الجنسية في الجزائر، يكون البحث الاستكشافي كوسيلة لتحري عن مدى انتشار الظاهرة في المجتمع الجزائري، المناطق التي تنتشر فيها، الفئات الاجتماعية، بين الجنسين.....

-**البحث الوصفي** : يتم توجيهه نحو أخذ الملاحظات و التوثيق الدقيق للظاهرة موضع الدراسة (أي وصفها بدقة) ، كما يصف الأحداث الماضية و تأثيرها على الحاضر ويهتم بالمقارنة بين الأشياء المختلفة أو المتجانسة ذات الوظيفة الواحدة.

مثلا: البحث في موضوع تنامي ظاهرة العنف وسط تلاميذ المدارس الابتدائية، البحث الوصفي سيقوم بوصف أشكال العنف المنتشرة وسط التلاميذ ومختلف سلوكياتهم وتبادلاتهم اليومية.

-**البحث النقدي التفسيري** : يتم توجيه البحث بغرض الوصول الى تفسيرات حول ظواهر أو سلوكيات يتم ملاحظتها. فبينما يعمل البحث الوصفي على فحص ماهية ومكانوزمان الظاهرة، فان البحث التفسيري يسعى الحصول على إجابات لأنماط الأسئلة المتعلقة بالسبب والكيفية أي يحاول ربط نقاط البحث من خلال تحديد العوامل السببية والنتائج المتعلقة بالظواهر المستهدفة.

مثال: بحث يبحث في علاقة التفكك الأسري بانحراف الأحداث.

2 **خصائصه**: للبحث العلمي مجموع من الخصائص ولعل أهمها الموضوعية والتي من خلالها لا بد مراعاة جانبين أساسيين¹⁶: أولهما حصر الموضوع وتكثيف الجهود من حوله من دون الخروج عن موضوع البحث الى النقاط الهامشية مما يتسبب في تشتيت أفكار الباحث، أما الجانب الثاني فهو الابتعاد عن كل

¹⁶عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي: صياغة جديدة، الطبعة التاسعة، الرياض، مكتبة الرشد، 2005، ص 27-28.

الأحكام القيمة والنزعات الشخصية أي التحيز لفكرة معينة أو شخص معين، فالبحث العلمي يعتمد على الحقائق وليس على الخيال والتخمين كما أن هدفه التوصل الى حقيقة الأشياء كما هي مؤيدة بالأدلة والشواهد بعيدة عن كل المؤثرات ف: "... ليست أهمية العلوم وعظمتها في الحقائق التي كشف عنها، بقدر ما هي كامنة في الطريقة، وفي الروح العلمية التي تبحث بها عن الحقائق..."¹⁷ و لاحقاً سيتم التطرق الى الروح العلمية بشكل مفصل من خلال أهم الاستعدادات الذهنية التي تشمل عليها.

بالإضافة الى الموضوعية نجد هناك مجموعة من الخصائص سنحاول اختصارها في النقاط التالية :

- البحث العلمي قائم على التبويب والتصنيف والتخصص، أي أنه لا يتناول جميع الحوادث والوقائع، فهو يتميز بالتخصص في فرع من فروع المعرفة التي نجدها مبوبة ومصنفة فهناك مسائل الفيزياء، الكيمياء، العلوم الاجتماعية، البيولوجيا....
- البحث العلمي قائم على التحليل والدقة ويضمن ذلك تخصص البحث العلمي في فرع من فروع المعرفة اذ يجعله قادراً على التحليل والوصول الى نتائج دقيقة.
- البحث العلمي مرتبط بإشكالية أو بالأحرى مرتبط بموضوع أو واقعة علمية (ظاهرة علمية)، هذه الأخيرة تكون حاضرة في البحث العلمي على شكل اشكالية أو تساؤل. وسنوضح هذه النقطة لاحقاً في عملية بناء الموضوع.
- يقضي البحث العلمي التحري على المعلومات والتقصي عن الحقائق والبيانات وكل ما يرتبط بالظاهرة موضوع البحث العلمي. كما يضمن البحث العلمي حرية تداول المعلومات
- يقضي البحث العلمي البحث عن الأسباب أي العلاقات السببية التي تربط بين الظواهر.
- البحث العلمي هو تحري للموضوعية والغاء الذات والعواطف والاحتكام فقط لما أكدته التجربة أو الميدان وذلك بإقصاء العناصر الشاذة.
- باعتبار أن المعرفة العلمية نظامية وتراكمية فلا يوجد هناك بحث منعزل على التراث البحثي الذي سبقه.
- البحث العلمي يهدف الى التنبؤ وربط الحاضر بالمستقبل.
- التبسيط والاختصار: إن ذروة الابتكار والتجديد في مجال العلم والتبسيط المنطقي في المعالجة والتناول المتسلسل للظواهر لأنه من المعروف أن إجراء البحوث أياً كان نوعها يتطلب الكثير من الجهد والوقت والمال، الأمر الذي يحتم على الخبراء في مجال البحث العلمي السعي إلى التبسيط

¹⁷ سلطان، حنان عيسى، وغام شريف العابدي، اساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، 1974، ص73.

والاختصار في الإجراءات والمراحل بشرط ألا يؤثر هذا على دقة نتائج البحث وإمكانية تعميمها.

- من خصائص البحث العلمي الأمانة في جمع المعلومات وعرض البيانات والنتائج وعدم تحريفها أو تحريف ما توصل إليه الآخرون لخدمة توجهات الباحث الذاتية أو إرضاء جهات معينة، وذا يقتضي أخذ المعلومات من مصادر ها الأساسية، وذكر المصادر وأصحابها، وتجنب أي تعديري يؤثر في دلالتها، أو يؤدي إلى تحريفها.

1.1 أهمية البحث العلمي:

إن الحاجة إلى البحث العلمي أضحت اليوم مهمة أكثر من أي وقت مضى، فالكل في سباق للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم في مختلف المجالات والتي تكفل الرفاهية للإنسان، وتضمن له التفوق على غيره، وإذا كانت الدول المتقدمة تولى اهتماما كبيرا للبحث العلمي فذلك يرجع إلى أنها أدركت أن عظمة الأمم تكمن في قدرات أبنائها العلمية والفكرية، والبحث العلمي ميدان خصب ودعامة أساسية لاقتصاد الدول وسبب تطورها، وبالتالي تحقيق الرفاهية لشعبها والمحافظة على مكانتها الدولية بالإضافة إلى ضمان الامن والاستقرار . وقد أصبحت منهجية البحث العلمي وأساليب القيام بها من الأمور المسلم بها في المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث بالإضافة إلى انتشار استخدامها في معالجة المشكلات التي تواجه المجتمع بصفة عامة، حيث لم يعد البحث العلمي قاصرا على ميادين العلوم الطبيعية وحدها ولكنه يشمل أيضا على الميادين الإنسانية والاجتماعية فهي مكملة بعضها لبعض ولا يمكن التركيز على مجال دون الآخر.

2 مراحل البحث العلمي أو التفكير العلمي:

قبل التطرق الى مراحل البحث العلمي الإجرائية والتي ستكون موضوع السداسي الثاني، سنحاول هنا التطرق الى خطوات التفكير العلمي والتي تتجسد عمليا عن طريق خطوات البحث العلمي أو البحث السوسولوجي.

فكما هو معروف أن المنهجية المتبعة في البحث السوسولوجي تتجسد في خطوتين أساسيتين: الأولى عقلية موجودة على المستوى الفكري وتمثل في ثلاث مستويات متسلسلة منطقيا: هي **القطع، البناء والاثبات** أما الثانية فهي إجرائية أو عملية تتمثل في مراحل البحث العلمي.

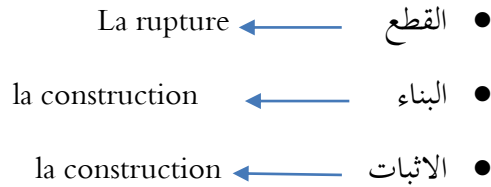
هذه المستويات الثلاثة للتفكير العلمي أشار إليها المفكر Gaston Bachelard في كتابه المعروف بـ:

La formation de l'esprit scientifique 1980 بقوله :

« Le fait scientifique est **conquis, construit et constaté** à l'inverse de l'expérience commune qui se présente directe face à nous. »¹⁸

بمعنى أن المراحل العقلية تتطلب أولاً اكتشاف الموضوع، ثم تأتي مرحلة بنائه وأخيراً مرحلة التحقق.

بصيغة أوضح حدد كل من الباحثين¹⁹ Raymond Quivy و Luc Van Campenhoudt هذه المراحل العقلية الثلاثة بـ:



1.2 مرحلة القطع:

من بين الصعوبات التي يواجهها الباحث في العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلى وجه الخصوص علم الاجتماع **التحكم في الذاتية**، الآن الباحث سيجد نفسه في مواجهة أحكامه الشخصية وأنماط ادراكاته وتقديره للواقع الذي يعيش فيه والتي تعتبر وليدة **الحس المشترك** وهنا لا بد من أحداث ما يعرف بالقطيعة لتجاوز هذه العقبات الاستمولوجية ولا يكون ذلك الا من خلال تفكيك الموضوع الذي هو بصدد دراسته في مرحلة أولى ثم إعادة بنائه على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: هي مرحلة سيحاول فيها بناء الإشكالية والتي تهدف أساساً الى القيام بقطيعة ابستمولوجية
- المرحلة الثانية: هي المرحلة التي سيقوم فيها ببناء نموذج تحليلي يتضمن بناء المفاهيم وبناء الفرضيات

هاتين المرحلتين معا تجسدان مرحلة بناء الموضوع أي فيها يتبلور الموضوع ويأخذ شكله العلمي.

مرحلة القطع تتجسد تدريجياً بدءاً من طرح سؤال الانطلاقة، ثم الدراسة الاستكشافية وأخيراً بلورة الإشكالية في شكلها النهائي والقطيعة ابستمولوجية تتطلب من الباحث التحلي بالروح العلمية طوال مراحل تجسيدها وتبني السلوكات المنبثقة عن الاستعدادات الذهنية.

¹⁸ Voir BACHELARD, G., Le Nouvel esprit scientifique. 9^e éd, Paris, P.U.F. 1996

¹⁹ Voir Quivy R. Campenhoudt LV, Manuel de recherche en sciences sociales, Édition DUNOD, 4^e édition, Paris, 2011.

2.2 مرحلة البناء:

عملية القطعلا تتجلى فقط في الابتعاد عن كل الأفكار المسبقة ولكنها تتحقق في المرحلة الثانية من التفكير العلمي وذلك عن طريق البناء.

والبناء يقوم على أساس النظر الى الظاهرة المدروسة من منظور التفكير في العلوم الاجتماعية أي الرجوع الى إطار مفهوماتي منظم قادر على تفسير المنطق الذي يفترضه الباحث أنه أساس الظاهرة، اذن نحن هنا على مستوى إعادة بناء الظاهرة من زاوية أخرى والتي تعرف عن طريق مفاهيم نظرية منبثقة من العلوم الاجتماعية. فالباحث من خلال اطاره النظري الذي تم تبنيه في إشكالية البحث يمكن له أن يعطي افتراضات تفسر الظاهرة المدروسة، وتكون بذلك أول خطوة لتجسيد الظاهرة في الواقع أي النزول من الجانب التصوري الى الواقع الاجتماعي.

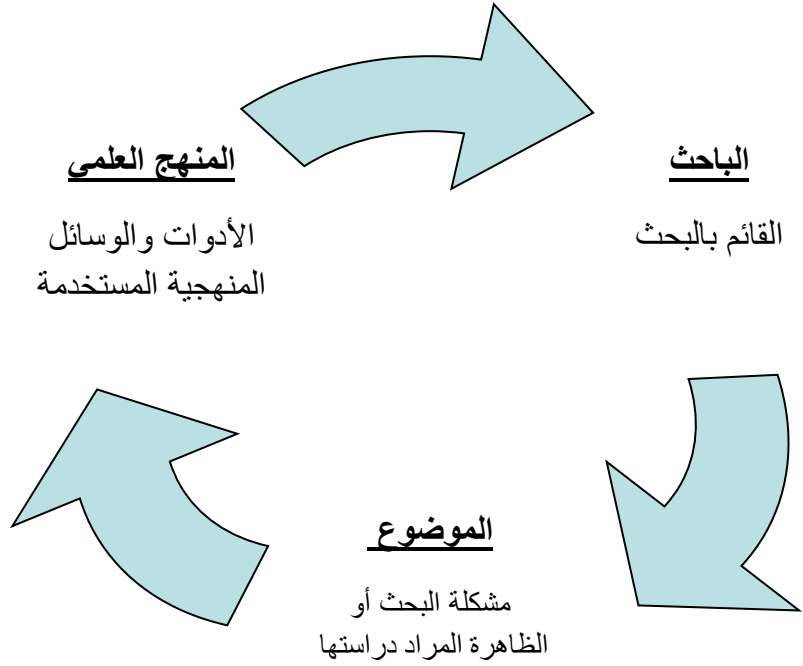
3.2 الاثبات:

من خلال هذه المرحلة العقلية المتمثلة في الاثبات سيحاول الباحث فيها تقديم نتائج مستقاة من الواقع الاجتماعي، بحيث يحق لمقترح ما التمتع بوضع علمي فقط إذا ما تمكنا التحقق منه من خلال معلومات عن واقع ملموس.²⁰

الدرس الثالث أهم العناصر المكونة للبحث العلمي (الباحث)

أهم العناصر المكونة للبحث العلمي: الباحث، الموضوع، المنهج العلمي كلها تمثل العناصر الأساسية المكونة للبحث العلمي، فلا يمكن ان نتصور بحث علمي من دون وجود باحث باعتبار أن البحث يعرف على أنه نشاط فكري، والباحث حتى يقوم بالبحث لا بد من وجود موضوع لدراسته و لدراسة هذا الموضوع لا بد من توفر أدوات و وسائل ستساعده طوال المدة الزمنية التي يستغرقها البحث العلمي، اذن هذه العناصر الثلاثة هي الأساس الذي يعطي البحث معناه و رغم ان لكل واحد دور فيه الا أن قيمة البحث و الغاية منه لا تكون الا من خلال تفاعل هذه العناصر فيما بينها.

²⁰Quivy R. Campenhoudt LV, op.cit., P20



الشكل 02: أهم العناصر المكونة للبحث العلمي

1. الباحث :

يلعب الباحث دور مهم في البحث العلمي فهو عملية فكرية منظمة يقوم بها نفسه. فهو عنصر لا يمكن الاستهانة به باعتبار أن البحث وسيورته سترتبط ارتباطا شديدا بمدى استعداد له وكذا المهارات التي يمتلكها. اذ يقع على عاتقه انتشار أي موضوع - في علم الاجتماع خاصة أو العلوم الاجتماعية بصفة عامة - ومهما كانت طبيعته من الحس المشترك ومحاولة إعادة بنائه على أسس علمية قائمة على الموضوعية. فالباحث اذن يعد عنصر أساسي في عملية البحث العلمي.

فعملية اجراء بحث جيد تتطلب أن يستعد الباحث لها ذهنيا ويدرب عقله على التفكير كباحث قادر على التحكم في ذاتيته، واكتساب مجموعة من المهارات وتطويرها بصفة مستمرة من خلال الممارسة. تشمل هذه المهارات ما يعرف بالروح العلمية *L'esprit scientifique* وهي تشير الى مجموعة من الاستعدادات الفطرية والنفسية بالإضافة الى الكفاءة العلمية المكتسبة التي تؤهله للقيام بالبحث العلمي. هذه الاستعدادات تنعكس في السلوك الذي سيتبناه طوال فترة انجاز البحث.

1.1 تعريف الروح العلمية: يمكن تعريفها على أنها استعداد ذهني خاص يكتسب عن طريق الممارسة والتجربة (الخبرة). فمن خلال المدة التي يستغرقها انجاز البحث تكون مهمة الباحث الرئيسية تنمية القدرات الخاصة بالروح العلمية وذلك يتطلب جهدا معيناً. (الطالب في علم الاجتماع مطالب بتدريب عقله على الروح العلمية من خلال

البحوث التي ينجزها في مسار دراسته والتي تعد كتمارين منهجية ستسمح له بالتحرك ذهابا وايابا بين المخطط التجريبي حيث يتم اجراء ملاحظات وبين المخطط النظري ويتم تطبيق هذه الملاحظات وفقا لقوانين ونظريات تمثل ارهاصات معرفية أنتجت بالبحث العلمي). أيضا هذا النوع من المهارات لا يمكن اكتسابها مباشرة ولكنها تتطلب سنوات عديدة للتطور وأيضا بذل جهد.

نشأ مفهوم "الروح العلمية" من الرغبة في جعل الإنسان أكثر عقلانية في المجال العلمي، يعود باشلار إلى المرحلة المتبدلة للمعرفة لتحديد اللحظات الحاسمة لأوجه القصور المعرفية، بالنسبة له، فإن الثورة العلمية التي كانت موضع اهتمام في القرن التاسع عشر جعلت العقل العلمي يبرز من معرفة البشر العاديين، في فرض مفهوم العلم، كمعرفة منطقية أو المعرفة المؤسسة بشكل منهجي²¹.

الملاحظة، المساءلة، الاستدلال، المنهج، التفتح الذهني والموضوعية وغيرها من الخصائص الأخرى التي تتميز بها الروح العلمية تشكل في مجموعها تلك المكاسب التي تسمح بممارسة البحث العلمي بنجاح وتعمل كل واحدة من هذه الاستعدادات الذهنية على خلق سلوكيات خاصة ستميز الباحث عن الرجل الشارع .

فالروح العلمية تتميز بستة استعدادات تتمثل في الملاحظة، المساءلة، الاستدلال، المنهج (المنهجية)، التفتح الذهني وأخيرا الموضوعية. كل واحدة منها تحث على سلوك معين:

- الملاحظة : تتغذى من الرغبة في المشاهدة، ثم التعرف و أخيرا التقييم.
- المساءلة : تجعل الباحث يميل الى طرح الأسئلة عن كل ما يحيط به و يستخدم الشك بكيفية بناءة و ايجابية.
- الاستدلال : يجعل من الباحث يجب التفكير والتأمل التجريدي لبلوغ الواقع، لأن القدرة على التجريد هي القدرة على الفهم الذي لا نمنحه في الحال لما ندرکه.
- المنهجية : تجعل الباحث حريصا على التنظيم و الترتيب حتى يستطيع انجاز عمله بأكبر دقة ممكنة

²¹ Par « l'esprit scientifique », on entend esprit critique, esprit qui se rapporte (qui se réfère à) et qui, dans une discipline scientifique de n'importe quelle obédience, a rompu ou doit chercher à rompre avec toute tendance subjectiviste et/ou sentimentaliste, en fonction d'une tendance ascétique, entendu comme possibilité pour tout homme d'être austère devant une expérience scientifique tout en mettant de côté tout préjugé » cité par :

BACHELARD, G., Le Nouvel esprit scientifique. 9è éd, Paris, P.U.F. 1996 p. 125

• التفتح الذهني : يجعل الباحث يتعد عن الحس المشترك، من خلال تصور طرق جديدة للتفكير و الابتعاد قدر الامكان عن العفوية في التفكير.

• الموضوعية : تجعل الباحث يعمل على التحكم الجيد في ذاتيته و تدفعه الى تقديم و عرض ملاحظاته بأكبر صدق و أمانة حتى و ان كان الأمر يعارض أفكاره.

كل هذه الاستعدادات الذهنية لها نفس الأهمية رغم أن كل واحدة منها تفرض نفسها في مرحلة معينة من مراحل البحث العلمي، والمعرفة العلمية مدينة سواء في وجودها أو تقدمها الى أشخاص عرفوا كيف يطورون ويجددون هذه الاستعدادات، بالإضافة الى الاحتكام لما يعرف بأخلاقيات البحث العلمي.

1.2 أخلاقيات البحث العلمي :

لا يكفي على الباحث تطوير قدراته الذهنية لجعل من بحثه بحثا علميا، حيث يستوجب على الباحث أو الباحثة الالتزام أيضا بعدد من الواجبات والمسؤوليات أثناء القيام بالبحث العلمي. فالبحث نشاط علمي يتطلب من الباحث الصدق والأمانة. بالتالي هناك مجموعة من القواعد التي لا بد احترامها وتمثل في مجموعها ما يعرف بأخلاقيات البحث العلمي كاحترام شخصية الأفراد، الأمانة العلمية، احترام الآراء، السرية، استخدام المعلومات فيما فيه مصلحة عامة وغيرها من القواعد الأخلاقية. فهناك اعتبارات أخلاقية مرتبطة بالبحث العلمي تقتضي احترام حقوق الآخرين وآرائهم وكرامتهم، سواء أكانوا من الزملاء الباحثين، أم من المشاركين في البحث، أم من المستهدفين من البحث، وتبين مبادئ أخلاقيات البحث العلمي عامة في "العمل الإيجابي" و "تجنب الضرر"،

1.3 أهمية البحث العلمي بالنسبة للباحث: كما سبق ذكره آنفا، فعملية البحث العلمي هي عملية تفاعل بين عناصره المكونة له والمتمثلة في الباحث، الموضوع والوسائل المنهجية. هذا التفاعل سيكون له أثر على الباحث ليس فقط في اكتساب خبرة علمية ولكن أيضا في تطوير قدراته الفكرية وفي طريقة رؤيته للأشياء فالبحث العلمي س:

- يتيح البحث العلمي للباحث الاعتماد على نفسه في اكتساب المعلومة وكذا يدرجه على الصبر والجد والإخلاص.
- يكون علاقة وطيدة بين الباحث والمكتبة
- يسمح للباحث الاطلاع على مختلف المناهج واختيار الأفضل منها
- يساعد الباحث التعمق في الاختصاص

- يساعده على تطوير المعرفة البشرية
- يجعل من شخصية الباحث شخصية مختلفة من حيث التفكير والسلوك والانضباط.

الدرس الرابع أهم مكونات البحث العلمي (المنهج العلمي)

ما يعطي البحث العلمي خاصيته العلمية هو استخدام المنهج العلمي الذي يضم مجموعة منظمة من العمليات باستخدام أدوات وتقنيات بهدف بلوغ هدف معين فمن دونه لا يستطيع الباحث أن يقدم نتائج علمية و يثري ما أصطلح عليه بالمعرفة العلمية.

1. تعريف المنهج العلمي:

عامة يعرف المنهج على أنه مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف، والمنهج هي كلمة مشتقة من اليونانية Meta ومعناها نحو. فلقد اهتم الفلاسفة بالمنهج ووضعوا له عدة تعاريف وقد اشتقت من كلمة *méthode* التي يعود أصلها الى اليونانية، ولقد استعملها أفلاطون للدلالة على البحث أو النظر أو المعرفة كما استعملها أرسطو أيضا بمعنى البحث، والمعنى الاشتقائي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدي الى الطريق المطلوب.

اختلفت وتعددت التعاريف، الا أن المفهوم الحديث للمنهج لا يتعدى العصر الذي عاش فيه فرانسيس بيكون في القرنين 16م و 17م الى جانب العالم ديكارت والذي لعب دورا مهما في تطوير المنهج العلمي عن طريق نقده لأساليب البحث التي سبقت عصره خاصة قواعد القياس الصوري (الفلسفة اليونانية على وجه التحديد). فلقد حدد هذا الأخير المنهج بأنه: فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، اما من أجل الكشف عن الحقيقة حيث نكون بها جاهلين أو من اجل البرهنة عليها للآخرين حيث نكون بها عارفين²²

وعرف المنهج العلمي كل من عمار بوحوش ومحمد محمود ذنبيات «أنه مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول الى الحقيقة في العلم، أو هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار، أو الاجراءات، من أجل الكشف عن الحقيقة التي نُجهلها، او البرهنة عليها للآخرين الذين لا يعرفونها»²³

²² أسامة الخولي، *مناهج البحث العلمي، وحدة أم تنوع مجلة علم الفكر*، م2، ع1، وزارة الاعلام الكويتية، 1989. ص 04
²³ د. عمار بوحوش، د. محمد محمود الذنبيات، *مناهج البحث العلمي و طرق اعداد البحوث*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999. ص99.

في الأخير يمكن القول إن المنهج العلمي هو وليد ترسبات فلسفية ومعرفية عديدة لكن بالمقابل هو أساس ظهور المرحلة العلمية الوضعية وأساس انهاء التأمل الفلسفي.

من خصائصه حسب الباحث احمد عياد²⁴ ما يلي:

- أنه أداة ممكنة في فهم الحقائق والظواهر.
- أنه عتبة لرفض الأفكار الساذجة غير العلمية.
- أنه يقوم على الملاحظة والتجربة ويضمن للبحث العلمي قدرا كبيرا من الموضوعية والحياد والنزاهة والتحكم في الذاتية.
- أنه مرن قابل للتعديل والتكيف حسب طبيعة الظاهرة.
- أنه يجمع بين الاستنتاج والاستقراء.
- أنه يضمن للبحث العلمي قدرا كبيرا من الوضعية والابتعاد عن الغيبية.

1.1 التفرقة بين المنهج والطريقة:

هناك مجموعة من العلماء والمهتمين بالمنهجية من يفرق بين المنهج والطريقة، وهناك مجموعة أخرى تعتبرهما شيئا واحدا وترجمة لنفس الكلمة اللاتينية Méthode.

المجموعة الأولى ترى أن المفهومين لا يعينان شيئا واحدا، لكنهما بالمقابل يشتركان في بعض الأمور مثل كونهما:

- (نقطة الاشتراك) يعينان أي المنهج والطريقة مجموعة من القواعد والارشادات التي توجه الباحث نحو تحقيق هدفه من البحث،
- (نقطة الاختلاف) أما نقطة الاختلاف الأساسية بين المفهومين تتمثل في ارتباط المنهج بنظرية ما أو فلسفة ما تختلف عن غيرها من النظريات والفلسفات فتؤدي الى الاختلاف في استخدام هذا المنهج أو ذاك، أما الطريقة فهي بالعكس حيادية الى حد كبير، ولا يختلف استخدامها باختلاف المناهج المستخدمة.

فالمنهج العلمي غالبا ما يكون مرتبط برؤية معرفية (أو بالأحرى فلسفية) للظواهر التي تحيط بالإنسان، بحيث نجد أن تطور المنهج العلمي في علم الاجتماع كان بسبب تطور التفكير النظري اتجاه الظواهر الاجتماعية التي تشكل

²⁴ احمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص35.

موضوع هذا العلم، فنجد ان أبرز مفكري أو علماء الاجتماع يختلفون في رؤياهم اتجاه طبيعة الظواهر الاجتماعية (موضوع علم الاجتماع) مما ساهم بشكل كبير في خلق مناهج بحث متعددة.

مثال: نجد على سبيل المثال العالم ماكس فيبر اقترح أن يكون موضوع علم الاجتماع " السلوك ذات معنى أو ما يعرف باللغة الأجنبية *le sens de l'action*" مما دفعه الى تطوير منهج مناسب لدراسته فكان منهج الفهم الذاتي. اختلاف المناهج في علم الاجتماع يعود بالدرجة الأولى الى اختلاف وجهات نظر المفكرين نحو الظواهر الاجتماعية موضوع علم الاجتماع وهذا ما يعرف بالمدخل المنهجي.

المسح الاجتماعي، تحليل المضمون، المقارنة، دراسة حالة كلها طرق منهجية وليست بمناهج.

2.1 التفرقة بين المنهج والوسيلة:

بصفة عامة يمكن تعريف المنهج بأنه الطريق الذي يسلكه الباحث للتعرف على الظاهرة أو المشكلة موضوع الدراسة بهدف الكشف عن الحقائق المرتبطة بها لغرض التوصل الى إجابات على الأسئلة التي تثيرها المشكلة أو الظاهرة الاجتماعية من خلال استخدام مجموعة من الأدوات لتجميع البيانات وتحليلها والتوصل الى النتائج التي تساعد في الإجابة على تلك التساؤلات.

فالمنهج اذن هو المسلك أو الطريق الذي يختاره الباحث أما الوسيلة فهي الأدوات التي ستسمح له بجمع البيانات. من بين الوسائل التي تم الاتفاق عليها من طرف الباحثين على أنها أداة نجد: الملاحظة، المقابلة، الاستمارة، الوثائق والخرائط والرسومات.

أما الخلاف فيما يخص الوسائل التي يصنفها بعض من الباحثين في إطار مناهج والبعض الآخر يراها أدوات نجد: تحليل المضمون أو المحتوى، أساليب القياس والمقاييس السوسيومترية والأساليب الإحصائية.

في الأخير يمكن القول إن المنهج أهم من الطريقة (عند البعض طبعاً)، والطريقة أهم من الوسيلة والعلاقة بينهما كالعلاقة بين العام والخاص.

2. المدخل المنهجي:

هناك فكرة تفرض نفسها في علم الاجتماع، وهي أن المنهج لا يوظف بشكل بريء كما هو عليه في الظاهرة الطبيعية، وإنما هو املاء منهجي ينبثق عن المدخل المنهجي. فما المقصود بالمدخل المنهجي؟

1.2 تعريفه: لعل أول من أشار الى أهمية وضرورة المدخل المنهجي في البحث السوسولوجي هو المفكر ايميل دوركايم، والذي يرى أنه قبل التساؤل عن أسباب الظاهرة الاجتماعية، لا بد أن نتساءل عن كيف يمكن تمثيلها؟ وكأنه يتساءل عن طبيعة الظاهرة الاجتماعية: هل الظاهرة الاجتماعية أشبه بالظاهرة الطبيعية؟ أو لا بد قياسها على الظاهرة العضوية؟ هل هي أشبه بالظاهرة اللغوية؟ أم لها طبيعة مختلفة؟

كخلاصة لهذه التساؤلات، لا بد على الباحث السوسولوجي قبل أن ينغمس في البحث عن العلل المرتبطة بالظاهرة التي يدرسها، أن يسأل عن كيف تتمثل هذه الظاهرة؟ أي ما طبيعة الظاهرة الاجتماعية؟

الاجابة عن هذا التساؤل سوف يحدد خلفيته النظرية والمنهجية التي يركز عليها في بحثه، والتي تكون مرشده وموجهه طيلة البحث، الى درجة أنه لا تفهم جميع اجراءاته البحثية ولا نتائجه، الا من خلال هذه الخلفية النظرية والمنهجية التي حددها الباحث السوسولوجي سلفا وهي ما يسمى بالمدخل المنهجي الذي هو مجرد تصورات منهجية لرؤية الواقع الاجتماعي وتحليل أنظمتة وظواهره من وجهة نظر معينة²⁵

أي أن المدخل المنهجي يتحدد في ضوء المبادئ الأساسية والأسس المنطقية التي يستند عليها الباحث والتي تمثل الإطار المرجعي للمعالجة المنهجية²⁶

ويجب أن ننوه أن المدخل المنهجي لا يشكل نظريات علمية، كما انه ليس بطريقة لإجراء الدراسات الميدانية وجمع المعلومات وانما هو تصور منهجي لرؤية الواقع الاجتماعي كما سبق ذكره، فعملية تمثل الظاهرة الاجتماعية وتصورها عند الباحث هي الخلفية النظرية والمنهجية التي عنها يتولد المنهج المتبع في الدراسة وهذه الخلفية هي ما يسمى بالمدخل المنهجي.

2.2 أهم المداخل المنهجية الكبرى: هناك العديد من المداخل المنهجية (المدخل الوضعي، المدخل التطوري، المدخل الماركسي، المدخل الوظيفي....) لكن سنقتصر على اعطاء مثالين فقط حتى يتسنى للطلبة فهم المعنى الذي يشير اليه المدخل المنهجي.

²⁵ محمد علي محمد. البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ص 81 عن أحمد عياد مرجع سابق ص 44.

²⁶ موريس أنجوس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية (ترجمة: مصطفى ماضي)، الجزائر: دار القصة، ط 2، 2016، ص 288-289.

* المدخل الوضعي: الاتجاه الوضعي ينسب بالدرجة الأولى الى أوغست كونت صاحب مصطلح "الفيزياء الاجتماعية" و الذي ناقش عام 1830 ضرورة تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الاجتماعية شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعية (و اذا ما رجعنا الى تعريف المدخل المنهجي الذي يقول أن عملية تمثل الظاهرة الاجتماعية تعكس خلفيته النظرية -التي تسمى بالمدخل المنهجي-، نجد هنا أغست كونت يقر على دراسة الظاهرة الاجتماعية مثلما تدرس الظاهرة الطبيعية بالتالي يقوم المدخل الموضوعي على فكرة رئيسية مفادها أن الخبرة الواقعية هي مصدر المعلومات. يقوم الاتجاه الوضعي على المسلمات التالية:

● المماثلة بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية (تمثل الظاهرة الاجتماعية على أنها أشبه بالظاهرة الطبيعية)

- النظر الى الظواهر الاجتماعية فيما يخص تركيبها وعلاقتها مع بعضها البعض على انها تقع بشكل مستقل عن الباحث الذي يدرسها وذلك لتحصيل أكبر قدر من الموضوعية في البحث.
- النظر الى الظواهر الاجتماعية على أنها خاضعة لقوانين طبيعية ثابتة لا تتغير، أي الايمان بوجود حتمية تخضع لها الظواهر الاجتماعية.

هذه المسلمات الوضعية تدفع الى تطبيق منهج يقوم على الملاحظة، التجربة والمقارنة (أي تطبيق المنهج التجريبي باعتبار أن الظاهرة الاجتماعية تتمثل عند أنصار هذه المدرسة على أنها أشبه بالظاهرة الطبيعية.)

*المدخل الذاتي : ينسب هذا المدخل الى عالم الاجتماع ماكس فيبر، هو الآخر تولد لديه تساؤل يتمثل في كيفية تمثل الظاهرة الاجتماعية و كيف يمكن معاملتها و فهمها؟ هل بقياسها على الظاهرة الطبيعية ودراستها وفق المنهج العلمي الموظف في الظاهرة الطبيعية؟ أم لا بد من مراعاة الخصائص الذاتية Les caractéristiques subjectives

من هذا التساؤل نلاحظ أنه لا يرى معنى في مماثلة بين الظاهرة الاجتماعية وبين غيرها من الظواهر فهو بذلك لما يعرف علم الاجتماع يجعله ذلك العلم الذي يحاول أن يجد فهما تفسيريا للفعل الاجتماعي. من مسلمات التي يركز عليها هذا المدخل:

- أن الدراسات الاجتماعية بحاجة الى طريقة منهجية مميزة في تحصيل المعرفة تلائم موضوعها وتلخص هذه الطريقة في نظرية الفهم كعملية معرفية لا غنى عنها في هذه الدراسات. بطريقة أخرى لا توجد حاجة للمثالة بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية.

- التركيز على دراسة الفعل الاجتماعي وأنه الوحدة الأساسية للتحليل السوسيولوجي.
- دراسة الفعل الاجتماعي من حيث موجهاته، الى درجة أن يجعل ماكس فيبر مهمة عالم الاجتماع تركز فقط على دراسة مجموعة من القيم الأساسية التي تحدد السلوك الاجتماعي.
- الموضوعية في البحث الاجتماعي تكمن في اتخاذ خلفية منهجية تتلاءم مع خصائص الظاهرة الاجتماعية، اذ على العكس من ذلك، فان الاعتماد على المنهج التجريبي لا يحقق الموضوعية لأنه سوف تنتكر لطبيعة الظاهرة الاجتماعية.

الدرس الخامس أهم مكونات البحث العلمي (الموضوع)

تزر الحياة الاجتماعية بالكثير من الوقائع أو الظواهر يمكن تناولها أو اختيارها كمواضيع للبحث العلمي، لكن ذلك لا يكفي أن تكون كل هذه المواضيع قابلة للإنجاز فهناك جملة من المعايير لا بد أخذها بعين الاعتبار من طرف الباحث عند اختياره لموضوع البحث قبل شروعه في بنائه.

1. طرح الموضوع:

يشمل طرح الموضوع على عمليتين أساسيتين، وتتمثل هاتين العمليتين في اختيار الموضوع المناسب للبحث في مرحلة أولى وتقييم قابلية إنجازه، ثم في مرحلة ثانية وبمجرد اختيار الموضوع القابل للإنجاز نشره في بنائه.

أ/ اختيار موضوع بحث في علم الاجتماع:

هذه العملية هي أول ما يواجهه الباحث، لأن إيجاد الموضوع المناسب للبحث ليس بالأمر الهين، لذلك لا بد قبل كل شيء أخذ الوقت الكافي للتفكير حتى تتمكن من استعراض جميع الاحتمالات ودراستها واحدة تلو الأخرى، لأنها الطريقة الوحيدة التي ستضمن لنا عدم العودة الى الوراء.

لذلك يجمع كل المفكرين على منح عملية اختيار الموضوع أهمية قصوى، فسر نجاح البحث عادة ما يكمن في انتقاء سؤال جيد وموضوع بحث جيد.

فكم من طالب مبتدئ أو باحث مبتدئ تجاوز هذه المرحلة المهمة وتسرع في اختيار موضوع للبحث دون التفكير في معايير قابلية إنجازه، ليجد نفسه في مرحلة من مراحل البحث يتخلى عن الموضوع بعد أن ضيع جهد كبيرا ووقت لا يمكن تعويضه خاصة عندما يتعلق الأمر ببحوث أكاديمية محددة زمنيا مثل البحوث التي تنجز في نهاية المسار الدراسي لنيل شهادة ليسانس أو ماستر....

فعندما نقوم ببحث علمي، فنحن نريد التعمق في موضوع تم اختياره انطلاقاً من فوائده أولاً، هذه الأخيرة تكون بمثابة الحافز الذي نستمد منه الطاقة والرغبة في البحث، وعلى أساس امكانية انجازه ثانياً وذلك حسب الشروط والصعوبات المحددة. ولاختيار موضوع للبحث غالباً ما نستعين بمصادر الهام تساعدنا في هذه العملية.

- مصادر الالهام²⁷:

ان الفائدة المتوخاة من دراسة موضوع ما، مهما كان نوع البحث، سوف تمدنا بديناميكية و طاقة ضرورتين و يكون بالاستعانة بمختلف مصادر الالهام التي قد تكون من تجارب حياتنا اليومية، أو من رغبة الباحث في انجاز بحث مفيد يعود بالفائدة على المجتمع، أو من خلال ملاحظة المحيط، كما يكون أيضاً تبادل الأفكار مع الباحثين الآخرين مصدر آخر للإلهام و كذلك البحوث السابقة.

✓ تجارب المعيشة: غالباً ما تكون التجارب المعيشة كمصدر الهام لكثير من الباحثين لإيجاد موضوع بحث. فقد تكون متصلة بالعائلة، بالعمل، بالجامعة، بالأصدقاء أو الأشخاص الذين ربطتنا بهم علاقات أو بأحداث عايشناها ويمكن لهذه التجارب أن ينبثق عنها موضوع بحث.

✓ الرغبة في أن يكون البحث مفيداً: كثيراً ما يرغب الباحث في اختيار موضوع ينتظر منه أن يعود بالفائدة على الآخرين، وذلك بالتحري في الاحتياجات الممكنة مثلاً: تعرض مؤسسة خدماتية لمشكلة الغياب المتكرر للعمال عن عملهم يتسبب في تأزم ليس فقط المؤسسة ولكن أيضاً تعطل مصالح الناس. اختيار هذا الموضوع والذي فيه فائدة بالنسبة لأشخاص آخرين يمكن أن يؤدي الى فائدة مؤكدة ومستمرة.

✓ ملاحظة المحيط: سبق أن أشرنا الى أن الملاحظة تعد من الاستعدادات الذهنية للروح العلمية، فمن خلال ملاحظتنا للأشياء وأخذ الوقت للانتباه بدقة لما نشاهده يومياً بطريقة تلقائية يمكن أن تكون مصدراً للإلهام. (ملاحظة سلوكيات غريبة، أو سلوكيات غير مألوفة، بروز تفاعلات جديدة.....)

✓ تبادل الأفكار: لا يوجد أفضل مصدر للإلهام مثل تبادل الأفكار، وعن تجربتي الشخصية كان اختياري لموضوع الدكتوراه نتيجة لنقاش في ندوة علمية، أثار ذلك النقاش حول مسألة معينة حفيظتي وتعطشي لمعرفة أكثر حول الموضوع، فلولا النقاش الذي حصل في الندوة حول الموضوع لما كنت اخترت الموضوع أساساً، لأن النقاش لفت انتباهي الى الموضوع. فتبادل الأفكار يسمح بالتفتح على آفاق جديدة ومعرفة ورؤية الآخرين.

²⁷ موريس أنجريس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سبق ذكره، ص 122

✓ البحوث السابقة: تعد البحوث السابقة من مصادر الالهام الأكثر شيوعاً، فالبحث ما هو الا امتداد لبحوث سابقة، وهنا استعراض الأدبيات يفرض نفسه لأنه من الضروري معرفة ما أنجز حول الموضوع والتركيز في الثغرات البحث أو في الزوايا التي لم يتم استغلالها.

في الأخير، يمكن القول أن مهما كان طبيعة مصدر الالهام لاختيار الموضوع، لا بد ان تكون هناك المصلحة الشخصية حاضرة، كونها ستكون بمثابة الحافز الذي سيدفع بالباحث المواصلة والاستمرار في مشروع بحثه و أيضا القيام به بكل سرور. لأن الباحث إذا فقد الحافز فلن يستطيع العمل بشكل جيد.

- قابلية الانجاز:

من المعلوم أنه مهما كان اختيارنا وقع على الموضوع الأكثر أهمية والأكثر فائدة، فانه سيبقى دون قيمة اذ لم تتوفر فيه شروط انجازه. اذن عند اختيار أي موضوع لا بد الأخذ بعين الاعتبار قابلية انجازه والتي يمكن تعريفها على أنها ميزة ما يمكن انجازه بالنظر الى الموارد البشرية والمادية وكذلك الشروط التقنية والزمنية المحددة. انطلاقاً من ذلك لا بد التفكير فوراً من بعض المقاييس التنفيذ بمجرد اختيارنا للموضوع وهذه المقاييس تتمثل في²⁸:

توفر الوقت، الموارد، الوصول الى مصادر المعلومات، درجة التعقد، اجماع فرقة البحث (عندما يكون البحث مشترك بين أكثر من باحث)، الخيال.

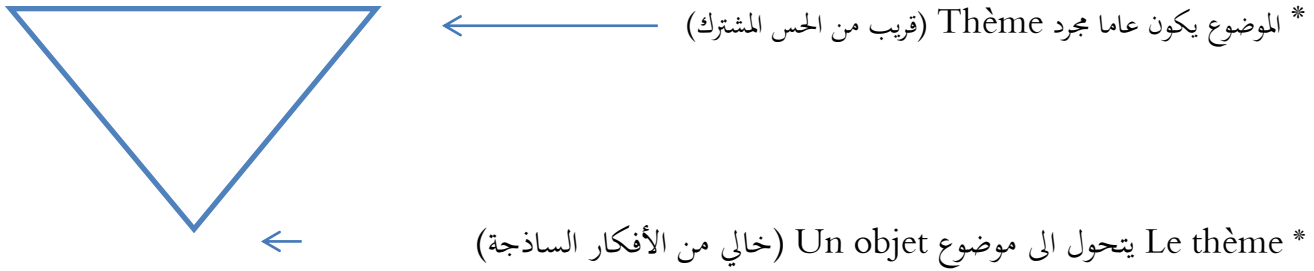
ب/ بناء الموضوع: La construction d'un objet de recherche

بعد اختيارنا لموضوع «Unthème» قابل للإنجاز، نشرع مباشرة في بنائه. فكل بحث سوسولوجي يبدأ بتفكيك الموضوع بهدف انتشاله من الحس المشترك ثم إعادة بنائه لإعطائه معنى سوسولوجي. فهنا لا بد الاشارة الى نقطة مهمة قد تظهر مبهمة للوهلة الأولى بسبب المفردات المستخدمة في اللغة العربية والمرتبطة أساس بكيفية الإشارة لموضوع البحث.

في الواقع نجد أنه في اللغة العربية نستخدم في كلتا الحالتين عبارة الموضوع سواء في المرحلة الأولى التي يكون فيها الموضوع عاماً أو في المرحلة الثانية التي يتم بناؤه ليصبح موضوع للبحث، والذي في الأصل يشار اليه باللغة الأجنبية بـ **Thème de recherche** في المرحلة الأولى ويشار اليه بـ **Objet de recherche** في المرحلة التي يبنى فيها. لكن هذا اللبس سيختفي تدريجياً مع تقدمنا في شرح عملية بناء الموضوع. فماذا نقصد بعملية بناء الموضوع؟

²⁸ نفس المرجع السابق، ص 127

ان عملية بناء موضوع بحث ليس بالأمر الهين، فهي تشكل احدى النقاط الجوهرية الأشد صعوبة في كل بحث علمي، فالعلم كما يقول باشلار "يحقق موضوعاته دون ان يجدها أبدا منجزة كلياً. انه لا يتوافق مع عالم يجب وصفه، بل مع عالم يجب بناؤه... فالواقعة تخضع للبحث وتبنى ويتحقق منها"²⁹ لأنها تتطلب انتشار الموضوع من الحس المشترك كما سبق ذكره أي من المستوى العام ثم إعادة بنائه لإعطائه معنى سوسولوجي وبلورته علمياً. وهذه العملية تتمثل على شكل هرم مقلوب توضح كيف نزل من العام الى الخاص. أي تحويل Un thème de recherche الى Un objet de recherche فالموضوع يبنى عبر مراحل البحث العلمي.



يقول Gaston Bachelard³⁰ أن التجربة العلمية هي تجربة مناقضة للحس المشترك، تتطلب التجربة العلمية العديد من العمليات للحصول عليها أو استيعابها على عكس الحس المشترك الذي يظهر بديهياً لنا مباشرة. فالتجربة العلمية تتطلب رؤية ما يخفيه الحس المشترك أي تفكيك ما هو اجتماعي ويظهر بنفس الطريقة للجميع.

لماذا يجب بناء الموضوع؟

ان الاكتفاء بوصف الواقع أو جزء منه كما هو على أنه يعبر عن الحقيقة الاجتماعية يعتبر مجرد سطحية لأن الحقيقة الجوهرية في أي ممارسة سوسولوجية لا يمكن بالمرّة إيجادها على السطح وإنما تستخرج، تستخلص وتستنبط كما أشار اليه باشلار في المقولة التي أدرجناها في المتن سابقاً، فبناء موضوع بحث سوسولوجي هو استنباط ما وراء الظواهر والعمل على كشف المشاكل الحقيقية وطرح أسئلة جديدة، ولا يكون ذلك ممكناً إلا إذا تخلصنا من المعرفة المكتسبة عن طريق الحس المشترك. معرفة اكتسبها الانسان من خلال تجاربه اليومية (المعرفة الساذجة) من غير أن تمحص وتنتقد بطريقة بناءة. فبناء الموضوع سيمكن الباحث من القيام بقطيعة ابستمولوجية مع الأفكار الساذجة او العامية أو المسبقة.

²⁹ مادلين غراويتس (ترجمة د. سام عمار)، مناهج العلوم الاجتماعية: الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، المركز العربي للتعريب والترجمة، دمشق، 1993، ص50

³⁰ « Le fait scientifique est conquis, construit et constaté, à l'inverse de l'expérience commune qui se présente directement face à nous. » Gaston Bachelard, La construction de l'esprit scientifique, Paris, 1980.

الدرس السادس: تحديد سؤال الانطلاقة

1. تحديد الهدف من البحث السوسولوجي: رغم انه يعتبر علم فتي، غير أن علم الاجتماع ليس بعلم يمكن ارتجاله فهو علم قائم بالضرورة في ممارسته على بلورة ووضع مقاربة علمية ناتجة عن مجموعة من القواعد التي لا بد من اتباعها طوال البحث وذلك استجابة لمتطلبات الموضوعية.

الباحث المبتدأ يجد نفسه في معظم الحالات نفسه عاجز في اللحظات الأولى للبحث بالرغم من الاهتمام الشديد بالموضوع الذي اختاره للمعالجة، كونه لا يملك أدنى فكرة عن كيفية المضي قدما، الامر الذي يدفعه الى الاستسلام لبعض من الانزلاقات التي يطلق عليها بأخطاء المبتدئين. فتجده مثلا يغمس في الاطلاع على أكبر قدر من المراجع والدراسات من دون أن يعلم ان كانت لها علاقة بموضوعه أو لا. وهناك من يتوجه مباشرة الى الميدان قبل تحديد أولي للموضوع (أو الهدف الأولي).

فعلم الاجتماع وعلى غرار العلوم الأخرى كما سبق ذكره في المحاضرات السابقة لديه مقاربة يمكن اتباعها أو تطبيقها على كل الظواهر الاجتماعية، بيار بورديو في كتابه الجماعي الذي ألفه مع مجموعة من المفكرين والمعروف بـ *Le métier du sociologue* يؤكد على فكرة Gaston Bachelard أن الواقعة الاجتماعية (الظاهرة الاجتماعية):

³¹ « *Le fait scientifique est conquis, construit et constaté...* » بمعنى ان المقاربة السوسولوجية تحوي على ثلاثة مراحل أساسية هي : القطع، البناء وأخيرا الاثبات. مع التأكيد أن هذه المراحل الاستمولوجية أو العقلية هي متسلسلة بحيث أن القطيعة تنتهي بالبناء والبناء لا يمكن تأكيده الا من خلال الاثبات. لذلك أول خطوة على الباحث الاقدام عليها هو تحديد الهدف الأولي لبحثه من خلال طرح ما أطلق عليه بسؤال الانطلاقة وهي عملية من ضمن مجموعة من العمليات التي تحقق القطيعة الاستمولوجية التي وضعها كل من ريمون كيني ولوك فان كابن هودت وستحدث عنه بالتفصيل لاحقا.

³¹ Pierre Bourdieu, Jean-Claude Chamboredon, Jean-Claude, *Le métier du sociologue. Préalables épistémologiques*, Mouton et EHESS, 1968. P 24.

2. تحديد السؤال الموجه للإشكالية والبحث:

1.2 سؤال الانطلاقة: كل بحث علمي هو بمثابة مغامرة للبحث عن المعرفة، ويجب تقبله على هذا النحو مع كل ما ينطوي عليه من أخطاء واردة، تردد أو شكوك من حوله. لذلك يجب على الباحث أن يختار بشكل سريع خيط سيكون بمثابة مرشد له وهو ما يعرف بـ **Le fil conducteur** باللغة الفرنسية على شكل سؤال انطلاقة يحاول الباحث من خلالها التعبير بأكبر قدر ممكن من الدقة عما يسعى إلى معرفته، وتوضيحه، وفهمه بشكل أفضل³²، أي لا بد أن يكون هذا السؤال واضحاً قدر الإمكان حتى يبدأ الباحث عمله من دون تأخير ويكون منظماً بشكل متماسك.

حسب Gaston Bachelard "كل معرفة هي جواب لسؤال، إذا لم يكن هناك سؤال سابق لا يمكن أن تكون هناك معرفة علمية، فلا شيء يؤخذ على أنه مسلم به، كل شيء مبني"³³، فسؤال الانطلاقة سيكون بمثابة ذلك الخيط الموجه للبحث أو يمكن اعتباره أنه بمثابة الوسيلة الأولى لتنفيذ أحد الأبعاد الأساسية للمقاربة العلمية ونقطة بداية لبناء الموضوع بطريقة سوسولوجية، بمعنى القيام بقطيعة مع الأحكام القيمية والأفكار الساذجة بالتالي مع الحس المشترك. بالإضافة إلى أنه سيسمح بتحديد مشكلة البحث بدقة ورسم حدودها.

فكما سبق وقمنا بتوضيحه في المحاضرة الأخيرة عن التمييز بين الموضوع والموضوع في اللغة العربية والذي يقابله في اللغة الفرنسية **thème de recherche et objet de recherche** هنا **Le thème** يصبح مشكلة بحث عند بلورة سؤال أو أكثر من حوله. بمجرد طرح سؤال البحث، يمكننا القيام بتفعيله، أي جعله ملموساً لجعله قابلاً للملاحظة في الواقع. فلا يوجد بحث من دون تساؤل كما يقول Michel Beau³⁴.

مثال 1 لسؤال الانطلاقة:

الموضوع Le thème: المخدرات في المؤسسات التعليمية

سؤال الانطلاقة: ما هي العوامل التي ساهمت في انتشار المخدرات وسط تلاميذ المؤسسات التعليمية؟

مثال 2 لسؤال الانطلاقة:

³² Quivy Raymond, Campenhoudt Luc Van Manuel de recherche en sciences sociales, 4ème édition, DUNOD, paris, 2011, p26.

³³ Gaston Bachelard. La formation de l'esprit scientifique. 3e éd, Paris, 1975, p.14

³⁴ Michel BEAUD. L'art de la thèse. Paris, La découverte, 2006, « Coll. Guides Grands Repères », p.11.

سؤال الانطلاقة: كيف يؤثر المستوى الثقافي للأولياء على الثقافة الاستهلاكية لأبنائهم؟

1.1.2 أهمية طرح سؤال الانطلاقة:

من المهم جدا بدأ أي بحث علمي بطرح سؤال الانطلاقة كونه يسمح لنا بتحديد الاتجاه العام الذي سيأخذه البحث الذي يريد الباحث القيام به، من خلال ارشاده إياه لما يريد معرفته من هذه الدراسة أي تفسير مشكلة البحث و تحديد الغرض أو الهدف منه، فبالإضافة الى أهميته في ذلك، فهو أيضا سيكون بمثابة الخيط الهادي طوال المرحلة اللاحقة للبحث والمتمثلة في الدراسة الاستكشافية بصفة عامة سواء في شقها الميداني: لأنه سيكون عاملا محددًا لميدان الدراسة أو ما يعرف بالمجال المكاني، وأيضا لمجتمع الدراسة أو ما يعرف أيضا بالمجال البشري، أو في شقها النظري أثناء اختياره للقراءات الأولية وكذا الوسائل المنهجية المناسبة.

2.1.2 مواصفات سؤال الانطلاقة:

ما يجعل الباحث ينطلق انطلاقة معقولة وصحيحة وتجنبه التعثر والمفاجآت غير السارة هي الارتكاز في اختياره لسؤال انطلاقة على بعض من المقاييس، لأن ترجمة مشروع بحث علمي إلى سؤال انطلاقة تكون مفيدة فقط إذا تمت صياغة هذا السؤال بشكل صحيح وهذا ليس سهلاً بالضرورة لأن سؤال الانطلاقة الجيد يجب أن يفي بعدة شروط. بمعنى آخر، لأداء وظيفته بشكل صحيح، يجب أن يفي السؤال الأولي بثلاث صفات على الأقل: صفات الوضوح وإمكانية معالجته أو قابلية الانجاز والملاءمة³⁵.

أ/ صفات الوضوح:

³⁵ Quivy Raymond, Campenhoudt Luc Van, op. Cit., P17.

تتعلق صفات الوضوح **بالدقة** (صفة ما هو دقيق: ليس غامض ولا مشوش)، **الإيجاز** (نوعية ما هو موجز، أي ما يتم التعبير عنه بكلمات قصيرة: ليس طويلاً)، و**أحادية المعنى** (مفهوم يحتفظ بنفس المعنى في استخدامات مختلفة) ولتعرف أن سؤال البداية ليس محيراً ويتسم بالوضوح، يتم طرحه على مجموعة صغيرة من الأشخاص لمعرفة ما إذا كان المعنى الذي يعطيه الجميع للسؤال يتقارب. إذا كان هناك الكثير من التناقضات، فيجب إعادة صياغة السؤال لأنه مؤشر على عدم وضوحه بشكل كافي. أما إذا أحسن الباحث في صياغة سؤال واضح ودقيق ولا يحمل أية لبس أو غموض فانه يفتح المجال لإمكانية معالجته وهو ما يعرف بمواصفات قابلية الانجاز

مثال:

كيف يؤثر التغيير في التهيئة الحضرية على حياة المواطنين؟

هذا السؤال غير واضح كون مصطلح التهيئة العمرانية يشير الى تهيئة عدة فضاءات منها الطرقات، المساحات الخضراء، الأحياء..... أي أنه مصطلح عام ومتعدد الابعاد فهنا السؤال يفتقر للدقة وأيضاً للوضوح.

ب/ صفات قابلية الانجاز: **Les qualités de faisabilité**

صفة ما هو ممكن، أو ما هو قابل للتحقيق ترتبط صفات قابلية الانجاز بشكل أساسي **بالطابع الواقعي** وليس بالعمل الذي يقترحه السؤال الأولي، فالسؤال الذي لا بد على الباحث طرحه على نفسه هو ما إذا كان لديه الموارد البشرية والمادية الكافية لإجراء الدراسة. لإجراء عمل بحثي، الباحث يحتاج إلى عدد معين من الأشياء، بما في ذلك المعارف، الوقت والمال، فمهما اختار الباحث لسؤال انطلاقة جيد إذا لم يتوفر على قابلية الإنجاز فيبقى سؤاله من دون فائدة خاصة إذا لم يستطع إجراء دراسة استكشافية ميدانية بسبب عدم تمكنه من إيجاد مجتمع للدراسة مثلاً.

مثال:

فيما تتمثل استراتيجية الدولة في احداث التنمية في الجزائر؟

هذا السؤال غير قابل للإنجاز كونه سؤال يمس رقعة جغرافية كبيرة جداً بالإضافة الى الموارد المادية والبشرية الضخمة التي لا بد منها لإنجاز الدراسة، كما ان السؤال لم يحدد القطاعات المعنية بالتنمية بالتالي فالسؤال يشمل كل

المجالات منها الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، البيئية..... باختصار السؤال لا يستجيب لمواصفات قابلية الإنجاز.

ج/ مواصفات الملاءمة: Les qualités de pertinence

أي طرح سؤال واقعي، سؤال حول ظاهرة فرضت أو تفرض نفسها على الساحة الاجتماعية وليس طرح سؤال حول ما هو غير موجود (أسئلة فلسفية أخلاقية)، كما يجب الابتعاد عن كل الأحكام القيمية، فسؤال الانطلاقة كما يقول ريمون كيني ولوك فان كابن هودت «لا يجب ان يكون ذو بعد أخلاقي، حيث لا يهدف الى اصدار أحكام بل يهدف الى الفهم»³⁶

مثلا:

كيف يساهم عمل المرأة في انتشار الانحراف وسط الأبناء؟

هذا السؤال يحمل أحكاما قيمية حول عمل المرأة وجعله سببا في انحراف الأبناء

الدرس السابع: جرد التراث النظري ورصد مجال البحث

³⁶ Ibid., p29.

1. الدراسة الاستكشافية:

بعد الانتهاء من بلورة فكرة البحث على شكل سؤال الانطلاقة المناسب والذي سيكون بمثابة الخيط الهادي للبحث، يأتي دور الاستقصاء أو ما يعرف أيضا بالدراسة الاستكشافية والتي تضم خطوتين أساسيتين مرتبطتين بشكل كبير حيث لا يمكن تصور بناء إشكالية وبلوتها من دونهما وهي القراءات من جهة والمقابلات والملاحظات الاستكشافية من جهة أخرى أي لا يمكن تصور اجراء دراسة استكشافية بالتركيز على المطالعات (الدراسات السابقة) دون النزول الى الميدان لملاحظة الظاهرة في الواقع، أو القيام بالمطالعات في مرحلة أولى ثم النزول الى الميدان أو العكس. هي مرحلة يشبهها البعض برقصة الفالس لأنها تتميز بحركة الذهاب والاياب او حركة للأمام وحركة للخلف. تجعل الباحث يتعرف أكثر على موضوع بحثه وهنا يدخل الجهاز التصوري كعنصر أساسي في بلورة الاشكالية وسنرى ذلك لاحقا.

- دور الدراسة الاستكشافية: تلعب الدراسة الاستكشافية دور أساسي في تهيئة الظروف المواتية لبناء الإشكالية، فهي بمثابة مرحلة انتقالية بين سؤال الانطلاقة والإشكالية. وظيفتها احداث قطعة ابستمولوجية مع الأفكار الساذجة، الأحكام القيمية وغيرها من الأفكار اللاعلمية.

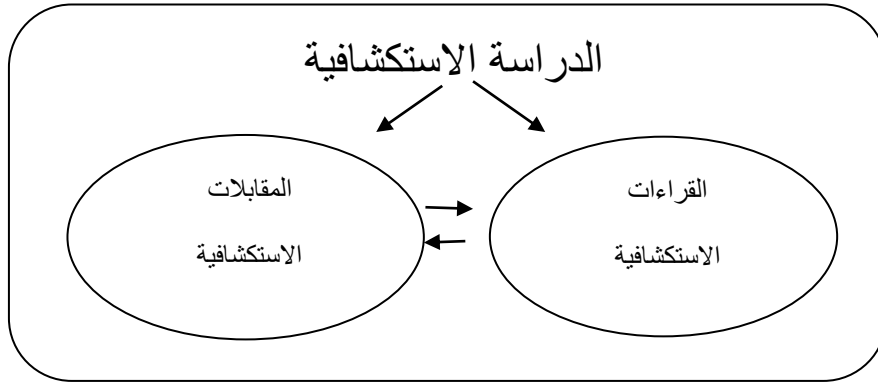
وظيفة الاستكشاف توسيع آفاق نموذج التحليلي وأيضاً التعرف على مختلف الدراسات التي أنجزت حول الموضوع والتعرف على اهم الأفكار التي ربما لم يفكر فيها الباحث، اذن وظيفتها الأساسية هي الاستقصاء وجمع المعلومات وتنقسم الى قسمين:

● قراءات استكشافية

● مقابلات استكشافية

ويجب أن ننوه الى نقطة أساسية حول الدراسة الاستكشافية، فبالرغم من وجود مرحلتين فيها الا انه لا يوجد ترتيب بينهما باعتبارهما مرحلتين متداخلتين فيما بينهما، أي أن الباحث طوال فترة هذه المرحلة تكون مهمته الذهاب والإياب بين القراءات وبين المقابلات الاستكشافية. فالقراءات والمقابلات الاستكشافية متكاملة ومثوية لبعضها البعض: اذ توفر القراءات إطاراً للمقابلات الاستكشافية وتوضح لنا هذه الأخيرة أهمية هذا الإطار لذلك تتم القراءات والمقابلات الاستكشافية بالتوازي.

فعملية الذهاب والإياب هي التي سوف تسمح للباحث بمساعدة جهازه التصوري التعرف ليس فقط على موضوعه وتحديد حدوده مقارنة مع ما أنجز من اعمال ولكن أيضا، سوف يتمكن من تحديد المقاربة النظرية والمنهجية المناسبة لدراسته بالتالي ترتسم معالم النموذج التحليلي تدريجيا مع تبلور الإشكالية.



الشكل 03: الدراسة الاستكشافية

1.1 القراءات الاستكشافية: الاطلاع على ما كتب حول الموضوع الذي تم اختياره غالبا ما يكون كخطوة بديهية يقدم عليها الباحث، فالأمكن ان نتصور القيام ببحث علمي من دون اللجوء الى استعراض الأدبيات المرتبطة به كما انه يعتبر خطوة مهمة للمبتدئين في مجال البحث العلمي «فكل تعلم علمي أو ما يعرف بـ L'apprentissage scientifique يبدأ بقراءة الآخرين»³⁷.

فالقراءات الاستكشافية ستساعدنا في الاطلاع على ما كتب عن الموضوع الذي نريد البحث فيه، فلا يوجد موضوع من دون دراسات سابقة باعتبار ان اختيار الموضوع أساسا لم يكن من العدم، فالظواهر الاجتماعية حتى وان بدت أنها جديدة فهي لم تخلق من العدم، فهي نتيجة لتحول ظاهرة كانت موجودة من قبل وأخذت شكلا جديدا غير مألوف، أو برزت فيها زاوية لم تأخذ من قبل بعين الاعتبار و استطاعت جذب انتباه الباحث لها من خلال ملاحظته للواقع الذي يعيش فيه و استطاعت أن تتحول الى اهتمام او انشغال علمي، وهنا ستلعب القراءات الاستكشافية دور المحفز لإلهام الباحث والعمل على تدقيق وعيه بهذه الظاهرة محل انشغاله العلمي³⁸ و وعيا منه بأهمية رهان استعراض الادبيات التي تقود الباحث الى استكشاف أكثر لما يريد دراسته يعمل الباحث

³⁷ Mesmin Noël Soumah. *Éléments de méthodologie pour une lecture critique*. Paris, L'Harmattan, 2003, p.15
³⁸ سعيد سبعون، حفصة جرادى، الدليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص30.

على ترجمة هذا الوعي بكيفية ملموسة و يكون ذلك بالقيام "بجولة"³⁹ على حد تعبير الباحث Michel Beaud.

اذن فالباحث بحاجة الى القراءات الأولية أو الاستطلاعية ومراجعة الادبيات والكتابات المختلفة في مجال بحثه وتخصسه بشكل واسع ومتعمق ووافي، لأن في ذلك فوائد ووظائف عدة:

- القراءات لها وظيفة الاطلاع على البحوث التي أنجزت من قبل حول الموضوع وستمكن الباحث من تحديد موضوعه مقارنة بها، أي الباحث سيتمكن من رسم الآفاق التي تظهر له أكثر أهمية من غيرها من جهة، ومن جهة أخرى تميزه عن غيره من الموضوعات
- القراءات ستسمح بإعادة النظر في نوعية التساؤل أي ببلورة الإشكالية.
- تسمح بتقييم المعارف من حول سؤال الانطلاقة.
- القراءات أيضا ستسمح بتسليط الضوء على محتوى النصوص ومقارنتها.
- القراءات ستسمح للباحث بتحديد موقع بحثه بشكل واضح فيما يتعلق بالأطر المفاهيمية الموجودة، لأنه من المهم التعرف على الحد الأدنى من الأعمال المرجعية حول نفس الموضوع أو على نطاق أوسع على الإشكاليات المرتبطة به.

2.1 اختيار وتنظيم القراءات:

من بين الصعوبات التي قد تواجه الباحث بما في ذلك الطلبة الذين هم قيد إنجاز مختلف الأعمال الأكاديمية من مذكرات، رسائل أو اطروحات، مشكلة توفر الوقت الكافي لإنجاز العديد من القراءات لمراجع ودراسات مختلفة، أيضا كثرة المطالعة أو ما يطلق عليه بالشرهة المطالعة La boulimie Livresque تعد أسوأ طريقة لبداية البحث. اذن كيف يمكن القيام بذلك من دون الوقوع في هذا الاشكال؟ وكيف يمكن المضي قدما؟ وما هي الشروط التي لا بد التقيد بها؟

فعليا وبشكل ملموس للإجابة على هذا الاشكال فانه من الأفضل العمل على اختيار أمثل لعدد قليل من القراءات ثم تنظيمها لاستخلاص أكبر قدر من الفائدة ولذلك يجب التقيد ببعض من المعايير لانتقاء القراءات.

³⁹Michel BEAUD. Op. Cit., P46.

- معايير انتقاء القراءات: هناك خمس معايير أو مبادئ عامة يمكن للباحث الاعتماد عليها لاختيار أفضل

لقراءاته⁴⁰:

أ/ نقطة الانطلاقة ستكون بالعودة الى سؤال الانطلاقة الذي تم طرحه في مرحلة سابقة، بحيث لا بد ان تكون للقراءات علاقة مباشرة به. فأحسن وسيلة لعدم الانحراف في فرز واختيار القراءات يتطلب أن يكون للباحث سؤال انطلاقة جيد.

ب/ لا بد أن يحدد برنامج للقراءة بشكل عقلائي، فليس من الضروري قراءة كل شيء كتب حول الموضوع باعتبار أن هناك الكثير من الدراسات المتشابهة سواء كتب، مقالات، تقارير أبحاث متكررة والباحث سيدرك ذلك بسرعة لهذا التكرار. ولتفادي ذلك من الأفضل التوجه نحو المراجع التي تقدم أبحاث أو نتائج لأبحاث مثل المقالات العلمية التي لا تحتوي الا على عدد قليل من الصفحات. يستحسن القراءة بشكل معمق لبعض من النصوص المختارة بعناية على قراءة سطحية للعديد من النصوص.

ج/ التنوع في القراءات سواء من ناحية التخصص أو طبيعة المراجع: كتب، مجلات، مصادر رقمية، تقارير...، كونها تقدم مقاربات متنوعة للظاهرة المدروسة ستمكن الباحث من مقارنة بينها، أيضا الأخذ بعين الاعتبار النصوص النظرية التي تقدم نماذج تحليل يمكن أن تكون مصدر الهام لبناء الفرضيات بشكل جيد.

د/ يجب أن يعطي الباحث لنفسه الوقت الكافي للتفكير بالقراءات، العمل على مناقشتها مع الآخرين لأن التبادل معهم سيوجه الباحث في القراءات المقبلة (سواء اختيار طبيعتها ومحتواها أو تصحيح توجهه الأول الذي وضعه).

3.1 أين نجد مصدر المراجع:

كما سبق ذكره آنفا، من المهم على الباحث معرفة على ماذا يبحث قبل الشروع في البحث عن المعلومات في المراجع والمصادر التي تتوفر عليها بعض من المكتبات الموجودة في محيطه أو تلك التي يمكنه الوصول إليها. فهذه الأخيرة تعج بالمراجع سواء كانت كتب، قواميس، مجلات، دوريات، أطروحات، مذكرات... وغيرها من المراجع بأعداد كبيرة. فليس من السهل التأمل انه بمجرد البحث في رفوفها أو فهرسها الالكترونية إيجاد المرجع المثالي الذي يستجيب لانتظاراتنا. هنا لا بد من منهجية عمل محكمة. في مرحلة أولى يجب تحديد طبيعة النصوص التي نبحث عنها ولإيجادها من دون تضييع الوقت يمكن الاعتماد على أربعة طرق:

⁴⁰ Mesmin Noël Soumaho. *Éléments de méthodologie pour une lecture critique*. Paris, L'Harmattan, 2003, p.126

1- طلب رأي الخبراء الذين لديهم معرفة حول مجال بحثك (أساتذة، باحثين، رؤساء مشاريع بحث...)، ومن المهم ان توضح فكرة موضوعك حتى يتمكنوا من فهمك ويسهل عليهم توجيهك لما يناسبك من معلومات.

2- التركيز على المقالات العلمية المنشورة في المجالات كونها عبارة عن خلاصات أو نتائج لخبراء.

3- الاطلاع على المجالات المتخصصة في مجال بحثك مهمة لسببين هما: الأول لأنها تحوي على معارف جديدة في مجال تخصصك بنظرة نقدية للدراسات السابقة وستساعدك في تقييم السؤال المعالج من خلال ذكر المراجع التي يمكن أخذها بعين الاعتبار. أما السبب الثاني فيتمثل في أن هذه المقالات اعتمدت على دراسات حديثة يمكنك الاختيار الأفضل منها.

4- في حالة مصادفة مراجع تحتوي على عدة صفحات فهنا ليس من الضروري قراءة المرجع بأكمله، يمكن تصفح الفهرس وقراءة ما يهمك فقط أو قراء مقدمات الفصول فقط حتى تأخذ فكرة عامة حول محتواها.

في مرحلة ثانية وباعتبار أن الهدف الأساسي من القراءات هو استخلاص أفكار تساعدنا في بناء الموضوع، وهذا يتطلب منا أن نكون قادرين على اظهار أفكارنا الخاصة وتوضيحها أو بالأحرى فهمها بعمق، لأن القراءات ليست فقط أخذ أفكار ولكن الهدف الأساسي منها هو الاستعانة بها لبناء أفكار خاصة بنا وأيضا ربطها فيما بينها بشكل منسجم وهو أمر ليس بالسهل خاصة للباحثين المبتدئين. وللتقدم في تعلم كيفية انجاز قراءات والاستفادة منها لا بد من تبني منهجية قراءة صارمة جدا منذ البداية تتكون من قسمين: شبكة القراءات والملخصات.

في الأخير، يمكن القول أن القراءات الاستكشافية هي جزء لا يتجزأ من البحث العلمي كونها تساعد على تفادي المفردات غير الصحيحة، مواضيع غير محددة، الجهل بما أنجز قبال وأيضا تضييع جهد ووقت في قراءات لا جدوى منها.

2.1 المقابلات الاستكشافية (الدراسة الميدانية الاستكشافية):

أهميتها لا تقل عن الأولى فهي تسمح للباحث مواجهة الظاهرة أو المشكلة الاجتماعية كما هي في الواقع لا كما قرأ عنها في الدراسات السابقة و ستسمح له بالفعل بناء عناصر اشكاليته، لا بد التنويه الى أن الدراسة الميدانية الاستكشافية لا تشبه الدراسة الميدانية التي نقوم بها مرحلة المعاينة، لأن الباحث سيحاول من خلالها التعرف على الظاهرة كما هي و أيضا التعرف على بيئتها و العوامل المتحركة فيها من خلال استخدام أدوات منهجية تلائم طبيعتها مثل المقابلة الحرة أو الملاحظة المباشرة، يكون فيها الباحث غير متحكم بشكل كبير بمعطيات الميدان بالتالي يكون فيها تابع نسبيا لمبحوثيه، و غالبا ما يحتاج لمرشد يسهل له الولوج الى الميدان .

الدراسة الاستكشافية لها دورين: الدور الأول يتمثل في بناء الإشكالية أما الدور الثاني يتمثل في تمهيد الدراسة الميدانية لاحقا خاصة إذا ما تبينا المقاربة الكيفية، فهنا الدراسة الاستكشافية ستأخذ أهمية كبيرة باعتبار أن الباحث سيعمل على بناء الثقة بينه وبين مبحوثيه وهذه الثقة لا تبنى الا مع مرور الوقت، فتواجهه المستمر سيجعلهم يعتادون على وجوده ويصبح جزء من حياتهم اليومية.

الدرس الثامن: الإشكالية

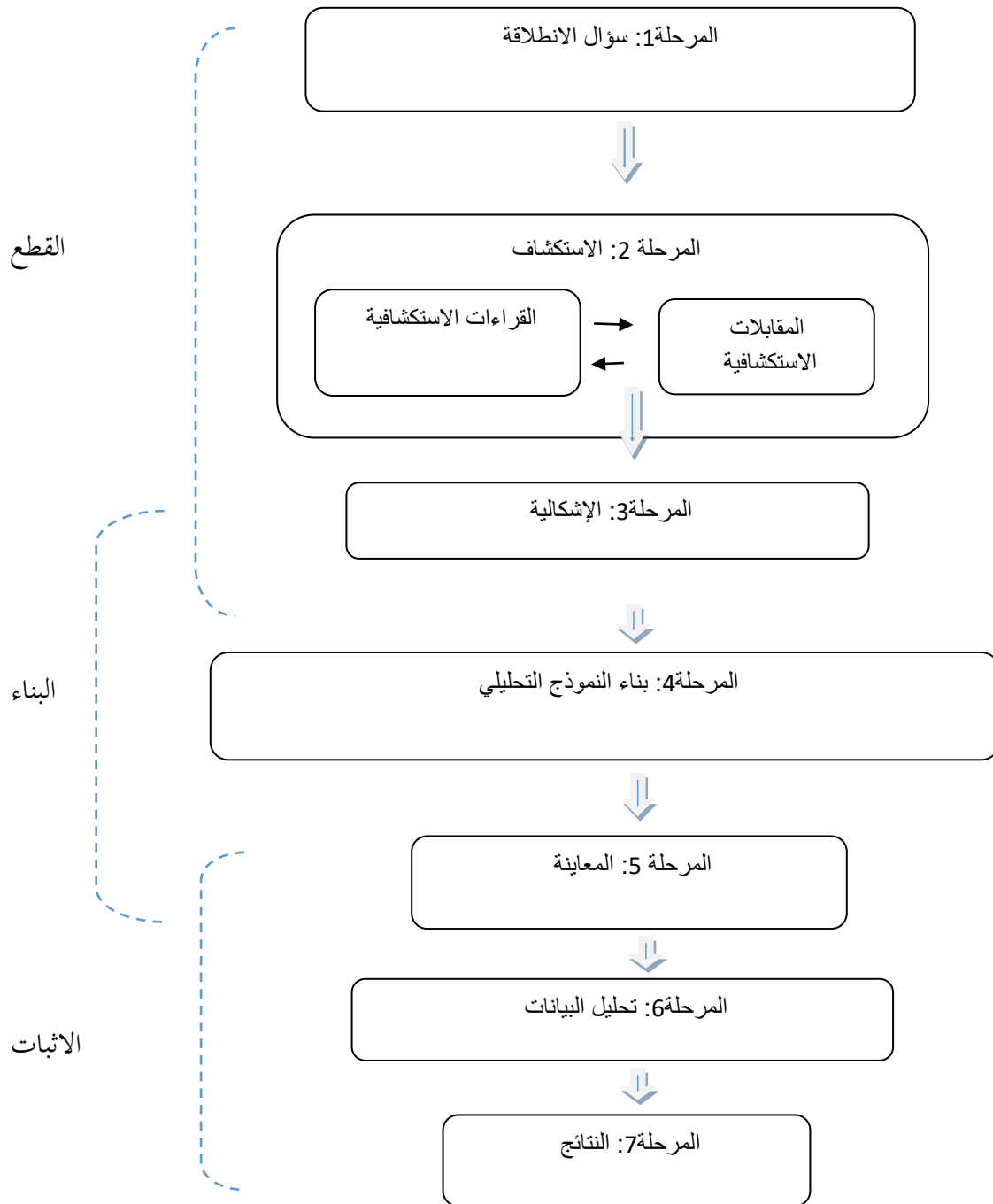
1. بناء الإشكالية:

تطرقنا في المحاضرة الأخيرة للمحور الأول عن أهمية عملية بناء الموضوع التي تهدف أساسا لانتشال الموضوع من الحس المشترك ثم إعادة بنائه واعطائه معنى سوسولوجي ويكون ذلك باتباع بعض من الخطوات متسلسلة، وهي جزء لا يتجزأ من خطوات البحث العلمي.

فعملية بناء موضوع بحث في علم الاجتماع تمر بمرحتين أساسيتين: الأولى يتم فيها بناء الاشكالية من خلال اتباع ثلاثة مراحل متسلسلة تسلسلا منطقيا: هي طرح سؤال الانطلاقة، الدراسة الاستكشافية وأخيرا بلورة الإشكالية، وذلك بهدف القيام بقطيعة ابستمولوجية مع الأفكار المسبقة، ثم في مرحلة ثانية يتم فيها بناء النموذج التحليلي (بناء المفاهيم والفرضيات) والذي سيسمح لنا ببناء ما به سوف نفسر به الظاهرة المدروسة .

هذه الخطوات الخمس نجدها في المخطط المشهور الذي وضعه كل من ريمون كيني ولوك فان كبنهوت في كتابهما: Manuel de recherche en Sciences Sociales، وأطلق عليه مراحل المقاربة أو

مراحل المسار



الشكل 2: مراحل البحث السوسيولوجي

⁴¹ Quivy Raymond, Campenhoudt Luc Van Manuel de recherche en sciences sociales, 4ème édition, DUNOD, paris, 2011, p16.

الشكل الموضح أعلاه، يعكس الطريقة التي تساعد الباحث التقدم نحو الهدف المسطر. فكل بحث هو بمثابة تجربة فردية تمثل سيرورة un processus لاكتشاف في ظروف خاصة، يجد الباحث نفسه فيها، في مواجهة لمجموعة من الصعوبات لا بد عليه ان يتأقلم معها بليونته كما أنه مطالب القيام بخيارات سوف يكون لها تأثير في المستقبل على عمله، لذلك يجب عليه أن يستخدم حدسه حسب الظروف المحيطة به وقت إنجازه للبحث.

فالدخول في عملية البحث في العلوم الاجتماعية عامة وفي علم الاجتماع خاصة تتطلب منهجية محكمة وهذا يعني أمرين: من جهة يجب احترام بعض من القواعد العلمية الأساسية ومن جهة أخرى يجب أن نضع خطة متجانسة أي التأكيد على المراحل الأساسية للبحث كما هي موضحة في الشكل والانتقال بين كل مرحلة بشكل متسلسل ومنطقي.

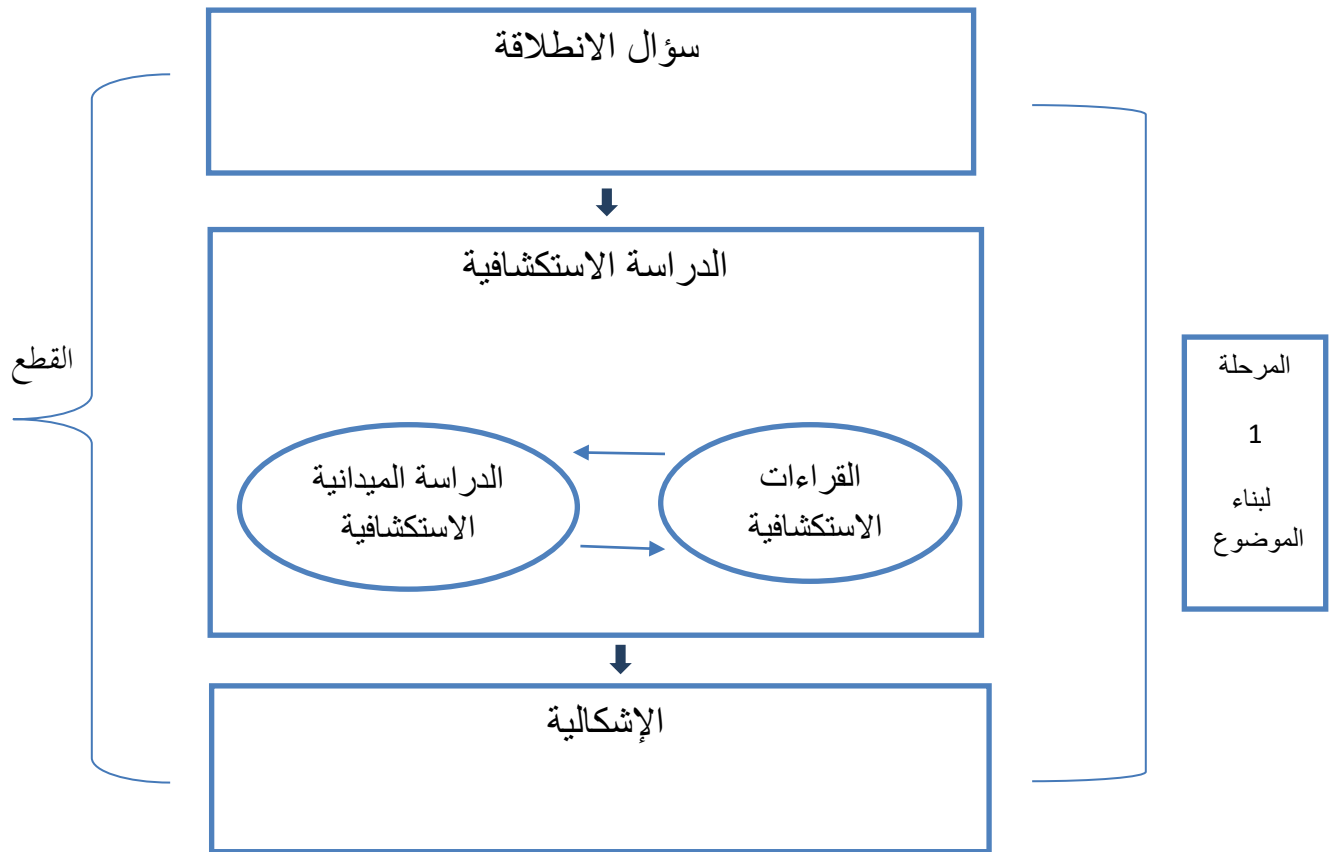
فلبناء الإشكالية لا بد أولاً التقيد بالمرحلة الأولى والمتمثلة في ضبط سؤال سيكون بمثابة نقطة بداية للبحث ولكن أيضاً سيوجهنا في المرحلة الثانية والمتمثلة في الدراسة الاستكشافية (كما تم شرحه في المحاضرات السابقة) وأخيراً بلورة الإشكالية في شكلها النهائي.

فماهي الإشكالية وما هي أهميتها في البحث السوسولوجي؟

1.1 تعريفها:

في تعريفها المبسط، الإشكالية هي بمثابة التصور العام للموضوع أو البصمة الخاصة بكل باحث (الباحث يعرف مع الإشكالية في أية اتجاه يسير ببحثه)، فهي بمثابة مقارنة أو آفاق نظرية قررنا تبنيها انطلاقاً من قناعتنا أنه يلائم المشكل المطروح من خلال سؤال الانطلاقة، فهي طريقة لمساءلة الظاهرة المدروسة، وبنائها يكون بالإجابة عن السؤال: كيف سأقوم بمقارنة هذه الظاهرة أو كيف سأعالج هذه الظاهرة؟ بهذا المعنى الإشكالية هي مساءلة نظرية للواقع... هي فعل ابستمولوجي أو قطيعة مع الخطاب العام والأحكام القيمية⁴²، فهي تعطي الباحث المفاهيم التي يتجاوز بها المعارف المسبقة والعامة. وبنائها يكون من خلال ثلاثة مراحل كما يظهره الشكل التالي:

⁴²سعيد سبعون، حفصة جرادى، الدليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبه للنشر، 2012، ص95



الشكل رقم 03: مراحل بناء الإشكالية

كما يبين المخطط، فإن الإشكالية في أبسط تحديد لها هي إعادة صياغة سؤال الانطلاقة من منظور جديد قائم على استغلال اسهام المرحلة الاستكشافية، ففي الإشكالية البحث يتضح أكثر موضوع البحث ويتم تدقيقه والتعمق فيه بالتالي المرور من العام الى الخاص، وفي هذا الصدد ترى نيكول بيرتبييه أن "الانطلاق الحقيقي في البحث يتمثل في الكيفية والمهارة التي ينتقل بها الباحث من العام الى الخصوصي" أي من الأفكار العامة والمشتتة الى أفكار أكثر بعد احداث قطيعة ابستمولوجية

1.1.1 أهمية الإشكالية في البحث السوسولوجي:

ترتبط الإشكالية كما ذكرناه في تعريفها بالمقاربة النظرية التي تضع البحث في إطار ووجهة محددتين، أي أن الباحث سيعرف مع الإشكالية في أي اتجاه سيسير بحثه (تحديد الهدف من البحث) وهذا من خلال ما تعطيه الإشكالية من مفاهيم التي يلجأ اليها الباحث لتجاوز بها المفاهيم العامة، وباعتبار الإشكالية مرحلة أساسية في بناء الموضوع (هي تمثل المرحلة الأولى للبناء الذي يشير الى المرحلة العقلية الثانية لتفكير العلمي و بناء النموذج التحليلي هو المرحلة الثانية للبناء كما سنراه لاحقاً و العمليتين معا تجسدان عملية بناء موضوع سوسولوجي)، هذه المرحلة تبدأ

منذ ظهور فكرة البحث و تستمر خلال البحث عن التعريف الآني من أجل بناء المفهوم و توجيه البحث كله استنادا اليه، فكل فكرة بحث تضم موضوعا مختلفا، و كل بناء ينبغي أن يتكيف مع الموضوع المراد بناؤه وهنا كما أشارت اليه الباحثة مادلين غراويتس هي اللحظة التي تقدر فيها درجة تكوين عالم الاجتماع باعتبارها لحظة التي يكتشف فيها ذكاء الباحث و صفاته المتناقضة: الحدس و الدقة و المعارف و الخيال و الحس بالواقع و التجريد⁴³ من خلال المفاهيم التي يلجأ اليها الباحث ليتجاوز بها مصطلحات الحس المشترك، ستعطي الإشكالية الباحث أرضية متينة تجنبه الضياع في الأفكار والأحكام القيمية.

في الأخير يمكننا القول ان أهمية الإشكالية تكمن في دورها المزدوج الذي تلعبه على المستوى الاستمولوجي وعلى المستوى المنهجي، فهي تحقق القطيعة الاستمولوجية من جهة ومن جهة أخرى على أساسها ستحدد الخطوات اللاحقة للبحث كونها ستحدد المقاربة المنهجية المناسبة للموضوع والتي هي بدورها ستحدد طبيعة النموذج التحليلي من بناء للفرضيات وللمفاهيم وطبيعة وسائل جمع المعطيات.

2.1 الفرق بين الإشكالية ومشكلة البحث:

المشكلة يمكن الإشارة اليها بموضوع البحث العلمي بحيث تشكل قاعدته الأساسية التي يدور عليها بمعنى آخر "مشكلة البحث تعني أن هناك حالة أو أمر ما أثار فضول الباحث ورغبته للتقصي والتنقيب عن تلك الحالة بهدف استجلاء ذلك الغموض الذي يغلف تلك الحالة، واكتشاف المسببات وتأمين المقترحات اللازمة..."⁴⁴ وغالبا ما تشير المشكلة الاجتماعية الى وضعية انحراف وابتعاد بين ما هو كائن وما يجب أن يكون وهذا ما يشكل نوع من الغموض يستوقف الباحث.

في العام نقول أن هناك مشكلة حينما لا تسير الأمور في الاتجاه المناسب، أي أن هناك خلافا استطاع أن يجذب انتباه الباحث أو يثير فضوله و رغبته في التقصي و التنقيب عن تلك الحالة بهدف استجلاء ذلك الغموض و استكشاف المسببات و تأمين المقترحات اللازمة التي تقدم كاقترحات و حلول لهذه الحالة.

وبهذا الشكل تعكس المشكلة وضعيتين مختلفتين: الأولى وهي وضعية مفروضة موجودة في الواقع والثانية وضعية مثالية أي ما يجب أن تكون عليه، ويمكن أن نعبر عن هذا الانحراف عما هو كائن وما يجب أن يكون وهذا يشكل غموض يستوقف الباحث لدراسته.

⁴³ مادلين غراويتس (ترجمة د. سام عمار)، مناهج العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص50.

⁴⁴ قندلجي عامر، السامرائي إيمان، البحث العلمي، الكمي والنوعي، عمان، اليازوري للنشر والتوزيع، 2008، ص80. عن سعيد سبعون، حفصة جرادي، الدليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصة للنشر، 2012، ص14.

كما يمكن القول أيضا أن مشكلة البحث تعبر عن حيرة أو انشغال معرفي ابستمولوجي بعيدا عن المواقف القيمية أو الوضعيات الأخلاقية توهم بعلامات سلبية أو إيجابية.

أما الإشكالية فهي تلك العملية التي تشكل تصور عام للظاهرة أو المشكلة المدروسة.

3.1 مراحل بناؤها: باختصار، بناء الاشكالية يكون على ثلاثة مراحل متسلسلة ومتراطة فيما بينها كما هي موضحة في مسار البحث و تم التطرق لها في المحاضرات السابقة، المرحلة الأولى طرح سؤال الانطلاقة والذي سيكون بمثابة نقطة بداية البحث أي أن الباحث سيحاول ترجمة ذلك القلق العلمي وكل التساؤلات حول الظاهرة بسؤال مبدئي يطلق عليه **سؤال الانطلاقة**، المرحلة الثانية و المتمثلة في الدراسة الاستكشافية المكونة من عمليتين متداخلتين فيما بينهما هي القراءات من جهة والمقابلات والملاحظات الاستكشافية من جهة أخرى و أخيرا مرحلة الإشكالية التي ستأخذ شكلها النهائي بعد الانتهاء من الدراسة الاستكشافية أي يعاد صياغتها من منظور جديد يعكس صورة واضحة للظاهرة المدروسة باستخدام المصطلحات العلمية المناسبة لها. ولبناء الإشكالية لا بد من توفر عنصرين أساسيين هما المعطيات (المستقاة من الدراسة الاستكشافية سواء كانت ميدانية أو نظرية) وأيضا الجهاز التصوري للباحث والذي ذكرنا سابقا جملة من الخصائص العقلية التي لا بد أن تتوفر في الباحث.

عناصر انتاج المعارف العلمية لبناء الاشكالية

يعتبر البحث العلمي ممارسة علمية يهدف الى انتاج معارف علمية، ولإنتاج هذه الأخيرة لا بد من توفر عنصرين أساسيين هما المعطيات والجهاز التصوري، فأثناء القيام بالدراسة الاستكشافية يجد الباحث نفسه أمام كم هائل من المعطيات (سواء كانت نظرية أو ميدانية (مقابلات وملاحظات استكشافية))، فهنا لا بد أن يتحلى بالروح العلمية ولكن أيضا لا بد من استخدام جهازه التصوري بشكل فعال.

● المعطيات:

نقصد بها، كل ما هو متاح لنا معرفته سواء تعلق الأمر بالواقع الحسي أو تمثلاته، هذه المعطيات تقدم نفسها في شكل معين وترتيب محدد لتنتج معنى ودلالة ما دون غيرها، وهنا على الباحث التسلح باليقظة الابستمولوجية، فمن المعروف أن المعطيات هي انتاج فكري تنطوي على عنصرين⁴⁵:

- عنصر علمي تجعل المعرفة علمية تؤدي وظيفة توضيح الرؤية وتقديم المفاهيم والأدوات اللازمة لتحليل وفهم الأحداث والظواهر.

⁴⁵ Voir Gaston Bachelard. La formation de l'esprit scientifique. 3e éd, Paris, 1975.

- وعنصر إيديولوجي له هدف طمس الحقيقة وتقديم تأويلات تضليلية يقوم بتقديم ما هو مجرد ظن واعتقاد على انه حقيقة.

اذن لا بد التعامل مع المعطيات خاصة الجاهزة منها بحذر ولا بد من يقظة ابستمولوجية في فرز المعارف العلمية عن العناصر الإيديولوجية.

● الجهاز التصوري⁴⁶:

يمكن تشبيه الجهاز التصوري بالآلة التي تقوم بعملية الفرز والتصنيف والترتيب والتحليل والتفسير للمعطيات المجمعة، لأنه غالباً ما نصادف في أحيان كثيرة وقائع أو أحداث أو آراء تظهر للرجل العادي أو غير المتسلح برؤية نظرية متماسكة أو آفاق نظرية (والتي أشرنا إليها أعلاه في الاشكالية) على أنها ظواهر مشتتة ومنعزلة. مثلاً: عندما يتحدث رجل الشارع عن البطالة نجده يرجعها الى عمل المرأة أو يربطها بخروج المرأة للعمل، لكن الواقع مغير تماماً، فإذا ما قمنا بدراسة علمية نجد أن نسبة عمل المرأة مقارنة بنسبة عمل الرجال ضعيفة جداً ولكن هناك أسباب أخرى لها تأثير مباشر على البطالة).

دور الجهاز التصوري الذي ينطلق من مسلمة أساسية مفادها أن تلك الأحداث المشتتة و المنعزلة ما هي الا قطع لصورة ينبغي تحديد اطارها و وضع العناصر داخلها بحيث تكون في نهاية المطاف الصورة المتكاملة، فالجهاز التصوري للباحث سيقوم بمهمة الاستقراء و الاستنباط في آن واحد، من خلال الذهاب و الاياب بين القراءات الاستطلاعية، و الدراسة الاستكشافية الميدانية- و هنا تظهر المرحلة الاستكشافية كمرحلة جوهرية ستساعد الباحث في ايجاد معاني و دلالات الأحداث و الظواهر-، التي لا بد على الباحث ادراجها في اطارها الصحيح، أي وضع الأجزاء في كل يهيكلها.

وهنا يمكن فرز حالتين يوجد أمامهما الباحث:

- هيكلية الأفكار التي تم استقاؤها من الدراسة الاستكشافية الميدانية والتي تبدوا مشتتة في كل متكامل ومنسجم، أي محاولة ايجاد العلاقة بين العناصر المتفرقة التي تم جمعها في الميدان.
- اعادة هيكلية الأفكار التي تم اسقاؤها من الدراسات السابقة و ذلك من خلال اعادة النظر في كيفية طرحها للموضوع وكذا العناصر التي تم الأخذ بها لبنائها وعلاقتها مع بعضها البعض ومنطق سيرورتها وديناميكيته (تحديد الإطار النظري للدراسة).

⁴⁶ أنظر: مادلين غراويتس (ترجمة د. سام عمار)، مناهج العلوم الاجتماعية: الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره ص54.

أثناء قيام الجهاز التصوري للباحث بهذه العمليات فهو يقوم بتحديد ما اصطلح تسميته بإشكالية الموضوع، من خلال الاستبقاء على العناصر الأساسية التي ستمكنه في تفسير وفهم الظاهرة المدروسة (كما هي في الواقع، في تلك الفترة الزمنية، في السياق الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي.....)

ويجب التنويه الى انه أثناء تحديد الإطار النظري، تكون مهمة الجهاز التصوري اكتشاف:

● المفاهيم الأساسية المستعملة.

● النظريات والمقاربات المنهجية المتبناة لمعالجة ودراسة الظاهرة.

لذلك على الباحث أن يقوم بمجرد قدر المستطاع كل الدراسات التي تناولت الموضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وطرح الأسئلة في نفس الوقت حولها من خلال اتباع النقد البناء لها.

4.1 وظيفة ودلالة الاشكالية: (محتوى الإشكالية)

من خلال تعريفنا للإشكالية على أنها التصور العام للموضوع أو المسألة النظرية للواقع أو الظاهرة التي يريد الباحث دراستها فهي بذلك تمثل فعل ابستمولوجي يتمثل في القطيعة مع الخطاب العام والأحكام القيمية.

الدلالة المعطاة للإشكالية هنا، هو وضع عناصر الموضوع ضمن تصور شامل ومنسجم يقوم الباحث نفسه في اقتراحه كإطار يدرج مجمل تلك العناصر فيه بحيث تضي عليه نوع من التماسك المنطقي: بدءا بتحديد الإطار النظري للموضوع، مرورا بتحديد الأهداف وتحديد الأدوات المستخدمة طيلة عملية البحث، واخيرا وضع الفرضيات.

الاشكالية تقوم بوظيفة تهيئة الشروط النظرية لإنتاج موضوع بحث علمي (أي تحديد الادوات النظرية الملائمة لدراسة الظاهرة الاجتماعية وفق ما تم ملاحظته في الواقع):

- تحديد الإطار أو الحدود النظرية للموضوع: نعني به فك اشتباكه (أي الموضوع) مع عناصر من المواضيع الأخرى والكفيلة بأن تختلط معه، اي نزع الالتباس المحتمل وأخذ الاحتياط من سوء التأويل، فاختيار إشكالية يعني اختيار الإطار النظري المناسب⁴⁷.

ان عملية تحديد الموضوع، تحتاج الى تحديد ما به يحدد الموضوع ويقصد بذلك المفاهيم والمصطلحات المستعملة، والتي تشكل أدوات تحليل تسمح بالتحكم في الواقع فكريا وعقليا.

⁴⁷ Quivy Raymond, Campenhoudt Luc Van, op.cit., p86.

الشرح: العلم في جوهره يقوم بمبدأ اختزال العالم المحيط بنا في ترسانة من المفاهيم وهذا للتحكم فيه ذهنيا وفكريا وانتاج دلالات حوله. فغالبا ما يجري اختزال العالم الذي يحيط بنا في تصورات وتمثيلات بهدف تمثيله عبر استخدام المفاهيم، فالمفهوم عبارة "عن تصور ذهني عام ومجرد لظاهرة ما"⁴⁸ فعلى سبيل المثال مفهوم الاغتراب يتقدم في صورة ذهنية لا يمكننا ملاحظته في الواقع الملموس، بل هو مجرد بناء وتصور ذهني مجرد يترجم مستويات معينة من الواقع الاجتماعي (مثال: انسان غير اجتماعي لا يحب المخالطة، الانطواء، لديه أفكار لا تتناسب مع أفكار غالبية أفراد المجتمع تجعله يشعر بعدم الانتماء لهم). فالعلم لا يقوم فقط على وصف ما هو معطى للعيان بكل جزئياته وانما يقوم على خلقه من جديد بواسطة تنظيم معطياته وربط جزئياته ربطا دلاليا، تعطيه في نهاية المطاف صورة ذهنية معقولة بالكشف عن مكانيات ديناميكية وسيورتها في إطار التطور التاريخي للمجتمع ككل.

الحاجة الى ضرورة تحديد المصطلحات، أثناء عملية تحديد الموضوع، تنطلق من مسلمة أساسية مفادها أن للمصطلحات مضامين مختلفة حسب وجهة نظر كل باحث، فليس للمصطلح معنى ثابت، حيث لا بد التمييز بين المعنى القاموسي الثابت والمعنى الضمني الذي يستنبط من السياق ومن الإطار النظري الذي يوظفه ويستخدمه. فهناك مفاهيم مثل الأسرة، الطبقة الاجتماعية، الدولة التفاعل الاجتماعي وغيرها من المفاهيم كانت و لا تزال موضوع اعادة تعريف دائمة.

مثال: نجد أن في العديد من الدراسات السوسولوجية يقع لبس في استخدام مصطلح الأسرة، رغم أنه لا يشير الى العائلة. الا أن الكثيرين من الباحثين يستخدمان المصطلحين وكأنهما يشيران الى نفس المعنى.

فتحديد التعريف الخاص للمفهوم، المقصود به المعنى المتضمن له في هذا البحث بالذات، وترك المصطلحات من غير تحديد هو فتح المجال لسوء الفهم لاحقا.

- تحديد أدبيات الموضوع: للإشكالية وظيفية أخرى تتمثل في تحديد موقع موضوعها ضمن ما يعرف بأدبيات الموضوع، والمقصود بذلك تحديد الموقف النظري والمنهجي من جملة ما قيل حول موضوع

⁴⁸ Ibid. p122

مطروق، فاذا كان الموضوع جديد لم يسبق تناوله فلا مجال للباحث هنا أن يتعرض لما قيل حول الموضوع، وبخلاف ذلك إذا تناول الباحث موضوعا تطرق اليه باحثون آخرون، وجب عليه هنا بيان موقفه مما قيل وكيفية تناول الموضوع، سواء تعلق الأمر بالمحتوى أو طرق تناوله منهجيا، أي القيام بدراسة نقدية لهذه الدراسات.

وهنا نتساءل حول فحوى التطرق لأدبيات الموضوع أو معرفة أدبيات الموضوع؟

انه من غير المنطقي أن يعرف الباحث ما هو الجديد الذي سوف يقدمه في هذا الموضوع والذي تطرق اليه غيره من قبله، ما لم يعرف أين وصل البحث والتفكير فيه من جوانبه النظرية والمنهجية. الاطلاع بما تركه الباحثون من دراسات، نظريات ومناهج وبنائهم لمفاهيم جديدة يجعل الباحث مؤهلا لمعرفة حدودهم وميدان قصورهم (أي وجود ثغرات في دراساتهم، عدم توضيح وتفسير جوانب معينة من الظاهرة....) وبالتالي اتاحة الفرصة للباحث طرح بديل لتجاوز هذه الثغرات من خلال استخدام النقد البناء. عملية البحث هنا تتخذ طابع الاستئناف لا طابع التدشين مشكلة بذلك عملية امتداد واعى لجهود بحثية سابقة ومكملو لهم. فكل نهاية وحوصلة جهود سابقة تعتبر نقطة انطلاقا لجهود لاحقة.

- تحديد هدف الدراسة: تحديد هدف البحث هو المرحلة الدقيقة والهامة أثناء عملية تحديد الاشكالية،

هي دقيقة لأنها تستلزم تصورا لما يراد اظهاره والبرهنة عليه ولأنها توجه كافة الجهود اللاحقة، و هامة لأنها

عملية يتوقف عليها نوع المعطيات المراد جمعها، كما تتوقف عليها المرحلة الثانية من بناء الموضوع والمتمثلة في بناء النموذج التحليلي (الفرضيات)، الذي يقوم على تنظيم البحث وتوجيهه.

أهداف البحث، سواء كانت متعلقة بالأفراد أو الهيئات، تتحكم فيها جملة من الاعتبارات الذاتية منها والعلمية وامكانية توافر المعطيات التي يمكن ابراز الفكرة أو تنفيذ أفكار ونظريات اعتبرت قاصرة في فهم الواقع أو مضللة.

(مثلا: في العالم الغربي، برز مع نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل كبير تطبيب هائل لكل مظاهر الحياة خاصة ما تعلق بالظاهرة الانجابية، حيث أصبحت الولادات تتم بشكل حصري في فضاءات صحية، أكثر من ذلك أصبح الحمل يتابع طبيا بهدف حماية الام والجنين من مخاطر الوفيات، لتتحول ظاهرة طبيعية تخص النساء بشكل حصري، الى ظاهرة طبية يتدخل فيها الرجل بعد أن كان وجوده منعدم في الماضي. برزت تيارات فكرية، تعرف بالتيار النسوي، أخذت من دراساتها هدف أساسي يتمثل في اظهار كيف ان التطبيب المتزايد للحمل والولادة ما هو الا وجه من الهيمنة الذكورية، أفقد الظاهرة الانجابية بعدها الانساني، أكثر من ذلك جعل المرأة غير متحكمة

بجسدها وخاضعة للمنطق الطبي، هذا الهدف له بعد إيديولوجي وذاتي رغم ان الطرح صحيح يجعل الدراسات تأخذ بعد نضالي قد يحجب عناصر مهمة في ظاهرة التطبيق).

من جملة الأهداف التي عادة ما يجري الوصول إليها، اما المساهمة في تعميق المعرفة في موضوع عولج من قبل على نحو سطحي، أو توسيع المعرفة فيه، أو تنفيذ تصورات سائدة أو مضللة أو إعادة صياغته من جديد أي تجميع أشياء مبعثرة لبناء تصورات ودلالة جديدة، أو تجريب نظريات جديدة.... الخ.

ولصياغة هدف الدراسة لا بد التقيد بجملة من الشروط، اهمها:

- ضرورة تحديد هدف مصاغ بطريقة تكون قابلة للإنجاز: لأن تحديد هدف أو اهداف طموحة جدا في ظل غياب معطيات أو وجود معطيات غير كافية لتحقيقه قد تشكل عائقا لمواصلة البحث، اذن من الضروري مراعاة بين الهدف والوسائل الموصلة اليه، وكل خلل في هذه العلاقة يتسبب في ضياع الوقت والجهد معا.

في الأخير يمكن القول إن بناء الاشكالية ليس بالأمر الهين، لأنه يتطلب من الباحث أن يكون يقضا، متحكما في ذاتيته باعتبار أن الهدف الأساسي من بناء الاشكالية هو استنباط ما هو وراء الظواهر والكشف عن المشاكل الحقيقية والعوامل المتحكمة فيها والتي لا تظهر مباشرة مثلما هو الحال مع الأفكار الساذجة. بناء الاشكالية يكون على مراحل متتالية: طرح سؤال الانطلاقة، الدراسة الاستكشافية ثم أخير طرح الاشكالية، هذا الطرح الذي يشمل، تبني نظرية أو ما يعرف بالمقاربة النظرية بالتالي تحديد المصطلحات العلمية، الدراسات السابقة واخيرا هدف الدراسة.

1. في معنى النموذج التحليلي:

عندما نسمع عبارة نموذج التحليل قد يتبادر الى اذهاننا أنه نموذج نقترحه لتحليل البيانات أو المعطيات لاستخلاص نتائج وهذه أول إجابة يقدمها الطلبة عند سؤالهم عن معنى نموذج التحليل، وهذا خطأ بالتأكيد فلا يجب الخلط بين هذه المرحلة من بناء الموضوع التي تعطيه شكله النهائي وبين مرحلة الاثبات. فماذا نقصد بنموذج التحليل؟

نموذج التحليل هو الامتداد الطبيعي للإشكالية من خلاله يتم التعبير بشكل عملي (Opérationnel) عن المعالم والمسارات التي يجب الاحتفاظ بها للبدء في إجراءات المعاينة ثم الاثبات لاحقاً. ويرتبط النموذج التحليلي بنوعية الدراسة الاستكشافية، كيف لا، فاذا تمت القراءات بشكل معمق واستخلصت النتائج وتمت مقارنتها بعناية وفي نفس الوقت تم استغلال الملاحظات والمقابلات بشكل صحيح، سيكون في جعبة الباحث عدة نقاط ستساعده في بلورة ما يناسب موضوعه من نموذج تحليلي، لأنه أثناء تقدم الباحث بخطوات ثابتة في دراسته الاستكشافية، ستبرز تدريجياً مفاهيم مفتاحية و فرضيات أساسية بالإضافة الى روابط ممكنة أو تلك التي يجب التركيز عليها، وعليه، يمكن القول أنه في الحقيقة النموذج التحليلي يبدأ بناؤه منذ بداية الدراسة الاستكشافية.

يمكن تعريفه أنه ذلك الكل المنظم والمتناسك الذي يتكون من مفاهيم وفرضيات مرتبطة فيما بينها بشكل منطقي، بمعنى أن بناء نموذج تحليلي يتطلب بلورة نظام منسجم من المفاهيم والفرضيات العملية⁴⁹.

اذن بناء النموذج التحليلي يتطلب:

- بناء فرضيات
- وبناء مفهوماتي أو ما يعرف ببناء المفاهيم.

⁴⁹ Ibid., P109.

1. الفرضيات

إذا كانت وظيفة الاشكالية القيام بقطيعة مع كل الأفكار المسبقة، فإن هذه القطيعة تتجسد بموضوعية في مرحلة البناء- بناء النموذج التحليلي-، أين يستعين الباحث بمقاربة نظرية (مفاهيم علمية) يبني من خلالها مجموعة من الاقتراحات لتفسير وفهم الظاهرة المراد دراستها، والنموذج التحليلي يمثل امتداداً طبيعياً للإشكالية كما سبق ذكره، يشمل على الفرضيات وكذلك المصطلحات بحيث تكون متداخلة فيما بينها وتشكل معاً نموذجاً لتحليل الظاهرة. ويكون النموذج التحليلي بمثابة المرحلة التي ينتقل فيها الموضوع من الجهاز التصوري للباحث الى الواقع. وأول خطوة لذلك أي الانتقال من التصوري الى الواقع هو إعطاء أجوبة مؤقتة للإشكالية أو ما يعرف بالفرضيات، فماذا نقصد بالفرضيات؟

1.1 تعريف الفرضيات:

حتى يصبح سؤال البحث عبارة عن ظاهرة يمكن ملاحظتها في الواقع، يجب تحويل سؤال البحث الى فرضية، وفي حالات استثنائية الى هدف لما يتعذر على الباحث بناء فرضيات مثلما هو الحال في الدراسات الاستكشافية. انطلاقاً من الفرضية نستخرج المفاهيم التي لا بد علينا من تحليلها بغية منحها طابعها الملموس. بذلك نقوم ببناء نموذج تحليل الخاص بالبحث وهو المرحلة الرابعة من مسار البحث التي أشار إليها الباحثان ريمون كيني ولوك فان كنهوت في كتابهما.

الفرضية في تعريفها العام، هي مشروع اجابة عن السؤال أو الأسئلة المطروحة لتفسير الظاهرة موضوع المعايينة والملاحظة. أي أنها تندرج ضمن حركية سؤال جواب في ظل العلاقة الترابطية بين الإشكالية والفرضية⁵⁰ الفرضية بهذا المعنى، تقوم بترشيح سبب يكون وراء ما يجري ملاحظته وكان موضوع تساؤل وحيرة، اذن فالفرضية تعتبر أول عملية تضيئي طابعاً ملموساً على سؤال البحث بالمحاولة الاجابة عنه⁵¹، غير انه توجد حالات لا يمكن للباحث أن يعطي فرضية أو فرضيات للسؤال المطروح فعندئذ تعوض الفرضية بهدف البحث.

2. خصائصها⁵²:

تظهر أهمية الفرضية في عملية توحيد جهود البحث وتنسيقها حول نقطة محددة دون غيرها، من خصائصها:

- **التصريح:** هي تصريح يوضح في جملة أو أكثر علاقة قائمة بين حدين أو أكثر (أي بين عامل أو أكثر).

(مثال: الطلبة المتغيبون عن المحاضرات هم في غالبيتهم من الطلبة الذي تحصلوا على معدلات ضعيفة في البكالوريا.)

⁵⁰ سعيد سبعون، حفصة جرادى، الدليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره. ص105

⁵¹ موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الانسانية، مرجع سبق ذكره، ص150.

⁵² Ibid. ص151.

● **النبؤ:** هي عبارة أيضا عن تنبؤ لما سنكتشفه في الواقع، اي أن الفرضية هي جواب مفترض ومعقول للسؤال الذي طرحه.

(مثال: توجيه الطلبة الى تخصصات غير مرغوبة يؤدي الى الرسوب)

● **وسيلة للتحقق:** هي أيضا وسيلة للتحقق الأمبريقي، ونعني بتحقيق الأمبريقي، العملية التي تتم من خلال معرفة مدى مطابقة التوقعات أو الافتراضات للواقع، اي الظواهر. التحقيق الميداني يتضمن ملاحظة الواقع والفرضية سوف توجه هذه الملاحظة.

(مثال: توضيح العلاقة بين توجيه الطلبة والرسوب من خلال ملاحظتنا لها في الواقع).

لا بد الاشارة الى نقطة أساسية وجوهرية يتميز بها النموذج التحليلي، أو بالأحرى يتأثر بها النموذج التحليلي، حيث أنه في حالة تبني **المنهج الكيفي** لدراسة الظاهرة، فان النموذج التحليلي سيأخذ شكلا مغايرا عن الشكل الذي سيأخذه إذا ما تم اختيار **المنهج الكمي** لدراسة الظاهرة.

ويمكن تفسير ذلك أن البحث الكيفي عادة ما يحمل خاصية الريادة أو انه يفحص الظواهر التي يصعب قياسها مثلما هو الحال في البحوث الكمية، لذلك فانه لا يستطيع أن يتوقع دائما ما سيتوصل اليه الى اكتشافه لاحقا، اذن فحسب الباحثين تنحصر عملية بناء النموذج التحليلي في الاحاطة بسؤال البحث فقط دون صياغة الفرضية ودون تقديم فرضيات قابلة للتعديل.

فالبحوث الوصفية عامة تقدم الاجابة عن السؤال في صيغة **هدف بحث** والذي نقصد به تصريح عن غاية للإجابة عن سؤال البحث ويستلزم هو الآخر القيام بتحقيق أمبريقي.

أي أن بناء النموذج التحليلي يفرض نفسه بشكل أساسي في الدراسات الكمية، لأن الوسيلة المنهجية المعتمدة لجمع البيانات في هذا النوع من الدراسات تتمثل في **تقنية الاستمارة**، والتي يتم بناؤها ويرتبط بشكل حصري ببناء النموذج التحليلي.

أ/ مكونات الفرضية (حدود الفرضية):

الحديث العناصر المكونة للفرضية، يقودنا الى الحديث عن حدود الفرضية. فالفرضية تجمع بين حدين في إطار علاقة سببية تفسيرية، أو بالأحرى تتكون الفرضية من حدين على الأقل يتم التركيب أو الجمع بينهما في علاقة محددة⁵³.

⁵³ سعيد سبعون، حفصة جرادى، مرجع سبق ذكره، ص110

والحد في الفرضية ما هو الا ما يعرف بالمتغير في الواقع وستناوله لاحقا، ولتوضيح ذلك نأخذ مثال ونتعرف من خلاله أيضا على خصائص حدود الفرضية: ترتفع نسبة الزواج في المناطق الريفية منها في المناطق الحضرية. هذه الفرضية تحتوي على الخصائص الثلاث الأساسية: انه تصريح يتنبأ وقابل لتحقيق. ولو دققنا أكثر الى الحدود المستعملة أي المفردات فسلاحظ أنها غير مبهمة، دقيقة، لها معنى وحيادية⁵⁴.

● **حدود غير مبهمة:** ينبغي ان يستعين الباحث بحدود تكون غير مبهمة (مفردات غير مبهمة)، ولا يجب أن يترك أي مجال للشك أثناء القيام بتأويلها، أي ان المعنى المراد من وراء الحدود يفهم بنفس الشكل للجميع، كلمة الأمية تشير بوضوح الى فئة من الناس التي لا تملك أية مستوى تعليمي، كما نفهم أننا نسعى الى المقارنة بين نوعين من المناطق (الريف، الحضر).

● **حدود دقيقة:** ماذا نقصد بحدود دقيقة؟ لنأخذ المثال التالي: مستهلكي السياحة الخارجية هم في غالبيتهم من أسر ذات مدخول يتجاوز مئة ألف دينار. في هذا المثال أستخدم كلمة دخل بدلا من كلمة أجرو هذا تفاديا لعدم الدقة (لأن هناك من يتقاضى أجره ضعيفة ولكن بالمقابل لديه مدخول متعدد (كراء محل، عمل اضافي...)).

● **حدود دالة:** ينبغي أن تكون الحدود المستعملة ذات معاني، أي أنها تعلمنا عن بعض التصور لهذا الواقع. هذا التصور للواقع ينحدر من نظريات ساهمت في توضيح الفرضية وتوجيهها. وعليه فان الفرضية في العلم مستنبطة عادة من نظرية توفر الإطار التفسيري للظواهر التي نريد دراستها. (وهنا نرجع الى الاشكالية التي بنيت وتبنى الباحث نظرية معينة، تبنيه لهذه النظرية يجعله يتبنى المفاهيم الأساسية لهذه النظرية والتي ستصبح حدود للفرضية).

● **حدود حيادية:** ينبغي هنا على الباحث أن يستعمل حدودا حيادية، لا تصاغ على شكل تمنيات ولا على شكل أحكام شخصية حول الواقع.

3. أشكال الفرضية:

يمكن صياغة الفرضيات بكيفيات مختلفة، ويمكننا أن نميز بين ثلاثة أشكال أساسية حسب الباحثة

Lasvergnas Isabelle:⁵⁵

● **الفرضية أحادية المتغير:** هذا النوع من الفرضيات يركز على ظاهرة واحدة بهدف التنبؤ بتطورها ومداهها مثلا: الهجرة غير الشرعية في تزايد مستمر في السنوات الأخيرة.

⁵⁴ موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الانسانية، مرجع سبق ذكره، ص152.

⁵⁵ Isabelle Lasvergnas, « La théorie et la compréhension du social », *Revue recherche sociale* (p.113-128),
نقلا عن موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص155 Sillery, Presse de l'université de Québec. 1987

في هذا المثال نجد ان الباحث سيحاول حصر عمله على كلمة المهجرة غير الشرعية وتقييمها وهنا يأخذ البحث الميزة الوصفية.

● **الفرضية ثنائية المتغير:** تعتمد الفرضية ثنائية المتغير على عنصرين أساسيين يربط بينهما التنبؤ وهو الشكل المتعود عليه بالنسبة للفرضية العلمية التي تهدف الى تفسير الظواهر. ان هذه العلاقة الموجودة بين عنصرين يمكن أن تظهر في شكل تغير مشترك بمعنى ان احدى الظاهرتين تتغير بتغير الظاهرة الأخرى:

مثال: كلما ارتفع الوعي السياسي عند الشباب، ارتفعت نسبة المشاركة في الانتخابات. في هذا المثال نجد هناك ارتباط بين الوعي السياسي ونسبة المشاركة في الانتخابات، ومن الناحية الاحصائية يكون الحديث عن الارتباط بين هاذين العنصرين.

من جهة أخرى قد تكون العلاقة في الفرضية ثنائية المتغير علاقة سببية انطلاقا من تقديم أحد العنصرين وكأنه سبب للآخر، هكذا يكون الأمر لما نجزم أن نجاح الزواج هو نتيجة للتقارب الاجتماعي للزوجين.

● **فرضية متعددة المتغيرات:** تجزم هذه الفرضية بوجود علاقة بين ظواهر متعددة، أي تتجاوز الاثنتين. مثلا قد يصرح أن النساء اللواتي هن نسبة خصوبة أكثر انخفاضاً، هن الأكثر تعليماً والأكثر كفاءة والأكثر تمدناً.

● **الخصوبة، التعلم، الكفاءة، التمدن** هي كلها حدود مترابطة مع بعضها البعض ويمكن تقديم هذه الحدود الأربعة على غرار الفرضية ثنائية المتغيرات وكأنها مترابطة أو ضمن البعد السببي. أي ان ظاهرة ما أو أكثر هي سبب لظاهرة أخرى أو أكثر هكذا يمكن الافتراض أن التمدن يرفع من نسبة التعلم لدى النساء والذي بدوره يكون له أثر في الخصوبة والكفاءة.

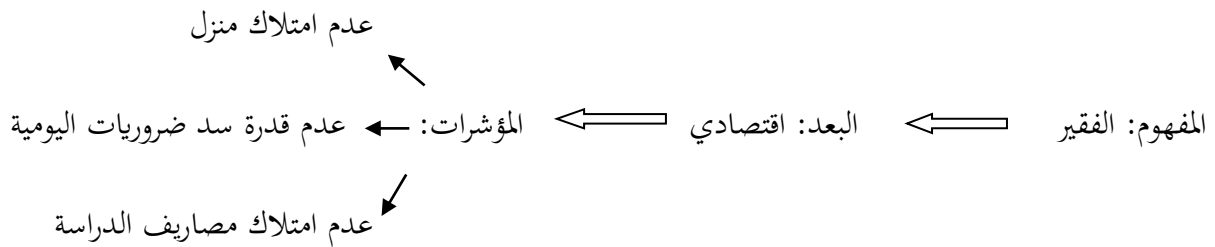
2.2 بناء المفاهيم (التحليل المفهومي): يعتبر التحليل المفهومي، سيورة تدريجية لتجسيد ما نريد ملاحظته في الواقع، يبدأ هذا التحليل أثناء شروع الباحث في استخراج المفاهيم من فرضية. فالحدود المستعملة في طرح سؤال أو الفرضية أو هدف البحث تأخذ صبغة مفاهيم، هذه الأخيرة ما هي في الواقع الا تصورات ذهنية لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها.

أ/ بناء المفاهيم:

تعتبر هذه العملية أكثر من مجرد تعريف أو مصطلح تقني، انها بناء مجرد يستهدف تفسير ما هو واقعي. ولهذا الغاية فإنها لا تتناول كافة الجوانب في الواقع المعني، بل تتناول فقط ما يعبر عما هو جوهري في هذا الواقع من وجهة نظر الباحث. (أي يختار الباحث المعاني التي يراها قريبة من الواقع الذي يدرسه)⁵⁶.

اذن يتعلق الأمر هنا بعملية مزدوجة قوامها بناء وانتقاء.

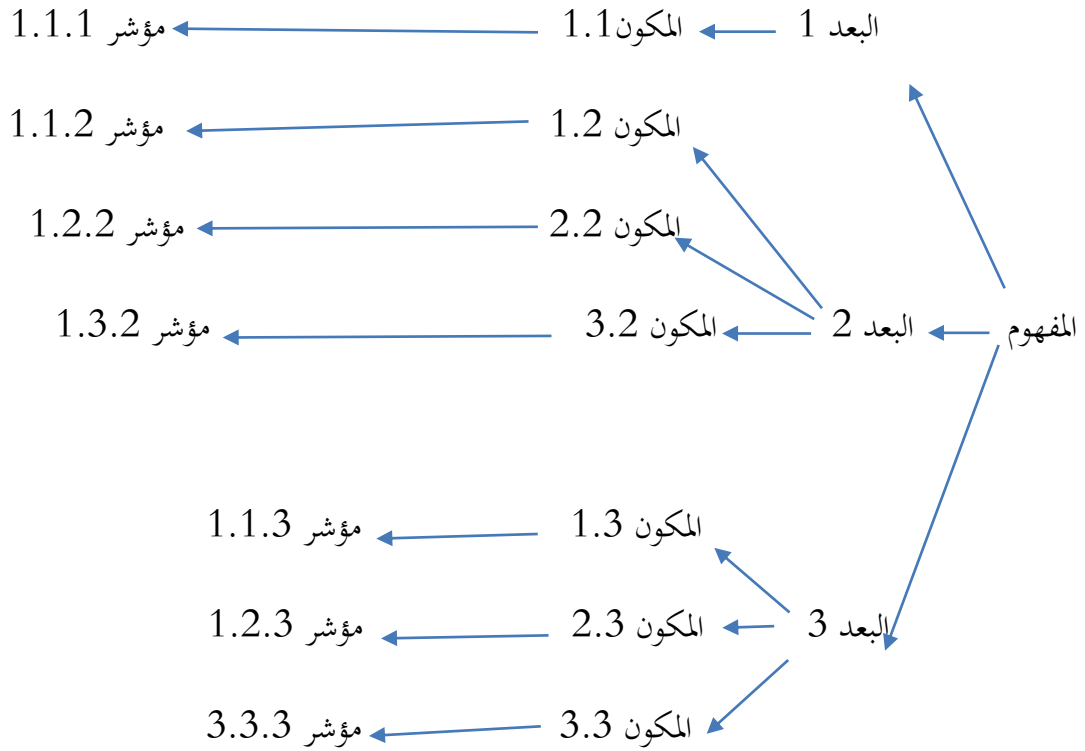
مثال: إذا ما أخذنا كلمة فقير، فهي تجريد يلخص لنا في الواقع عددا من الأشخاص، لهم ما يكفي من السمات المشتركة ويختلفون بالتالي عن الفئات الأخرى من الاشخاص مما يسهل في تجميعهم تحت نفس التسمية.



اذن في هذا المثال قمنا ببناء المفهوم على أساس البعد الاقتصادي أي تعريفه بالتركيز على الجانب الاقتصادي ومن ثم قمنا بانتقاء المؤشرات التي نراها تمثل في الواقع صفات الفقير، فيمكن لباحث آخر أن يبني الفقر على بعد آخر وينتقي أيضا المؤشرات التي يراها تناسب ذلك البعد من بين مؤشرات أخرى.

⁵⁶ Quivy Raymond, Campenhoudt Luc Van, op.cit., p122

يقوم بناء المفهوم أولاً على تحديد الأبعاد المكونة له والتي يفسر بها أمور الواقع، ثم يتم تشریح كل بعد وتحويله الى مؤشرات أو ظواهر قابلة للملاحظة. ومن المهم الإشارة الى انه توجد هناك مفاهيم بسيطة وأخرى معقدة حسب الأبعاد والمكونات والمؤشرات⁵⁷ كما هو موضح في الشكل التالي:



الشكل 03: التحليل المفهومي (تفكيك المفهوم الى أبعاده، مكوناته ومؤشراته)

فكلما ارتفعت درجة تجريد المفهوم، كلما تطلب ذلك القيام بعدد أكبر من العمليات التجسيد للوصول الى مستوى الواقع الملحوظ.

لنأخذ مثال توضيحي لهذه العملية التي تجعلنا ننتقل من المستوى التجريدي الى الواقع الملموس من خلال مصطلحين:

⁵⁷ Ibid., P122

مفهومالبكر ← الانتقال من المجرد الى الملموس في هذه الحالة يكون بسيطا (يكفي البحث في كل أسرة عن الطفل الأول الذي أنجبه الزوجان بعد الزواج) أي ترتيب الطفل هو مؤشر لمفهوم البكر وهنا لا نحتاج الى البعد ولا المكون.

مفهوم الرضى في العمل ← فهنا نجد المفهوم له بعد اقتصادي لا بد البحث عن الظواهر التي تعكسه في الواقع من خلال مؤشرات (الراتب، العلاوات، الترقية...)، وايضا له بعد اجتماعي هو الآخر لا بد البحث عن الظواهر التي تعكسه في الواقع (طبيعة العلاقات بين الزملاء، بمحيط العمل، الادارة، الخ). بالتالي فإننا نجد عددا من الوقائع الملموسة تكون مجتمعة تحت لواء هذا المفهوم. ان هذا المجموع المعقد يعطي معنى للمفهوم أثناء تجسيده في الواقع.

• كيف يتم بناء المفهوم؟

هناك طريقتان لبناء المفهوم، وكل واحدة منها ستتوافق مع مستوى مختلف من الصياغة المفهومية. الأولى هي استقرائية تتمخض عنها مفاهيم اجرائية معزولة أو مفاهيم عملية، والثانية استنباطية تولد مفاهيم نسقية⁵⁸.

- **المفهوم الاجرائي المعزول:** هو مفهوم مبني بطريقة تجريبية انطلاقا من المعاينات المباشرة أو معلومات جمعها الغير، أي هي مفاهيم ناشئة عن ملاحظة الواقع وكذا المقابلات والقراءات التي أجريت مرحلة الاستكشاف.

- **المفهوم النسقي:** يركز بناء المفاهيم النسقية على منطق العلاقات القائمة بين العناصر التي يتكون منها النسق، فالمفاهيم النسقية تتميز بالتشدد الاستنباطي والتركيب، فهي لا تستقرأ من التجربة بل تبنى عن طريق التفكير المجرد: كالاستنباط، التماثل والتعارض والعلاقات الضمنية..... الخ و في أغلب الحالات يتصل هذا العمل المجرد باطار فكري أهم و أوسع يدعى مثالا أو نموذجا. اذن فالمفاهيم النسقية مستمدة من النظريات العلمية.

سواء تعلق الأمر بالمفهوم الاجرائي المعزول أو بالمفهوم النسقي، فان البناء يستدعي بالضرورة صياغة الأبعاد والمكونات والمؤشرات، كما يتميزان بدرجة القطع مع الأفكار المسبقة. وللإشارة، فان المفهوم الاجرائي المعزول يقع في منتصف الطريق بين المفهوم النسقي والأفكار المسبقة.

⁵⁸ Ibid., P126-128

1. أبعاد المفهوم:

انطلاقاً من تعريف المفهوم على أنه تصور تجريدي، فإن الشروع في تجسيده يتطلب تفكيكه إلى أبعاده المختلفة، وعليه يتعلق الأمر هنا بفحص معانيه العميقة وتقبل فكرة أنه يشير جوانب من الواقع يمكن أن تكون متنوعة إلى أقصى حد.

إن هذه الأوجه المختلفة من الواقع هي التي تشكل الأبعاد أو ما يسمى بمكونات المفهوم (Lazarsfeld 1965) ولاستخراج أبعاد مفهوم ما نستعين بالتعريف المؤقت للمفهوم. مثلاً: إن موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية. هذه الفرضية تقيم علاقة بين مفهومين رئيسيين هما: الموارد والسلطة العائلية.

في هذه الحالة يمكن استخراج عدد من الأبعاد لمفهوم موارد الزوجين وذلك انطلاقاً من تعريفنا له وتحديدنا له كمجموع من الامكانيات سواء كانت مادية، فكرية، اجتماعية يتمتع بها كل زوج والتي تميزه في نفس الوقت عن الآخر.

هذه الصفات الأربعة من الامكانيات تصبح أبعاداً للمفهوم.

من خلال المثال الموضح أعلاه، نلاحظ أن التعريف الأولي للمفهوم هو الذي يقود إلى هذه الأبعاد، فلو تم تحديد مفهوم الموارد الزوجية خلافاً لذلك فإن الأبعاد تكون هي الأخرى مغايرة.

تعريف البعد: كل ما هو غير ملاحظ ولا يقبل القياس مباشرة، يبقى من صنف الأبعاد التي تمثل المستوى الواسطي بين التصور التجريدي والعام من جهة أي المفهوم، والواقع الملاحظ من جهة أخرى.

2. مؤشرات بعد المفهوم:

بعد استخلاص من الفرضية حدود أو مفاهيم رئيسية، وبعد تعريفها مؤقتاً وإبراز جوانب كل مفهوم أو بدقة أكثر أبعاده التي يجب الاحتفاظ بها، لا بد لنا الآن ترجمة هذه الأبعاد إلى سلوكيات أو ظواهر يمكن ملاحظتها، وهنا يأتي دور المؤشر.

لإيجاد مؤشرات كل بعد محتمل لا بد على الباحث أن يطرح على نفسه في كل مرة السؤال الآتي: ماهي العلامات الملاحظة في الواقع والتي يمكن من خلالها تحديد هذا البعد؟ يكون ذلك بعودته إلى معارفه وتجاربه وكذا حدسه.

فالمؤشرات هي تجليات لأبعاد المفهوم قابلة موضوعيا للتحديد والقياس.⁵⁹

الشعر الأبيض، الجلد المجعد، الأسنان السيئة ← كلها مؤشرات للشيوخوخة.

أنواع المؤشرات⁶⁰: هناك أنواع مختلفة من المؤشرات، مثلا يمكن حساب الدخل والساعات اللذين يعتبران مؤشرين ذات التفيئة العددية (Numérique)، أما التمدرس والتطورات التكنولوجية فيتم ترتيبهما فهما اذن مؤشرين ذات التفيئة الترتيبية (Ordinale)، أما الانتماء العرقي والديني فهما يقيمان تميزات، وعليه فهما مؤشرين ذات التفيئة الاسمية.

معرفة نوع المؤشرات المستخدمة مهم جدا، باعتباره سوف يساعدنا في معرفة طبيعة القياس الذي سيتم تبنيه في كل حالة.

فالمؤشرات تمثل الجانب المرئي أو على الاقل الظاهر لبناءات مجردة، وعليه فهي تبين التجسيد الناجح للفرضية.

3. المتغيرات:

للمتغير عدة تعاريف، حيث يتفق علماء المنهجية في الحقيقة أن المتغير يرتبط بالمفهوم، باختصار ينحدر المتغير من المفهوم أو المؤشرات ويجعل بالتالي الظاهرة قابلة للقياس، "لقد جرى الاتفاق على تسمية هذه العناصر المكونة للفرضية والتي يمكن أن تتقدم بكيفيات مختلفة وأن تتأثر وتؤثر بكيفيات مختلفة أيضا بالمتغيرات. ان المتغير عبارة عن صيغة موجودة في أي كيان كان، يمكن أن يأخذ قيما مختلفة"⁶¹

أنواع المتغيرات:

عادة ما تقدم الفرضية على أنها علاقة بين متغيرين على الأقل في شكل تصريح واضح وغير مبهم ومرتبطة بإطار نظري وقابل للقياس، وهذا ما يميزها عن الجملة المبتدلة. فيمكن أن تجزم مثلا الفرضية أنه كلما ارتفع المستوى الثقافي للأمم كلما ارتفع وعي ابنها على بالسلوك الاستهلاكي.

المستوى الثقافي الأم + ← ارتفاع وعي الابن.

⁵⁹ موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، مرجع سبق ذكره، ص 162

⁶⁰ Blais André, « Le sondage : Les indicateurs », dans Recherche sociale, P 317-357. Benoit Gautier(dir), SILLERY Presses de l'Université de Québec. 1987. ص 164

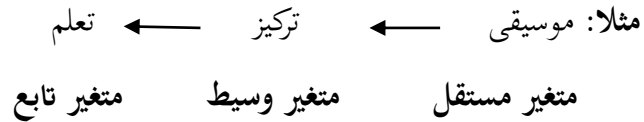
⁶¹ Passeron Jean-Claude, La preuve chiffrée en sociologie et l'analyse multivariée, document ronéotypé, Université d'Alger, Institut d'études politiques, 3^{ème} cycle de sociologie, 1967, P1. نقلا عن سعيد سبعون، حفصة جراد، الليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 11.

من خلال هذا المثال الذي يظهر بوضوح العلاقة بين المتغيرين وان كل واحد منهما لا يحتل نفس المكانة في الفرضية. يقدم أحد المتغيرين وكأنها السبب، انه المتغير المستقل، بطريقة أخرى هذا الأخير يعتمد عليه في تفسير الثاني الذي يمثل النتيجة. وهو ما يسمى بالمتغير التابع، أي الناتج عن فعل الأول.

- المتغير المستقل: يستخدم المتغير المستقل في المنهج التجريبي ويتم مداولته لقياس التأثير في المتغير التابع. نقوم بانتقاء هذا النوع من المتغيرات انطلاقاً من الأسباب المتوقعة للظواهر الملاحظة.

- المتغير التابع: ان المتغير التابع، هو ذلك المتغير الذي يجري عليه الفعل من اجل قياس التغيرات.

- المتغيرات الوسيطة: يمكن للواقع الملاحظ أن يكون أكثر تعقيداً من مجرد علاقة سببية بين متغيرين، مما يعني أن متغيرات أخرى، المعروفة بالمتغيرات الوسيطة يمكن ان تتوسط بين المتغيرات المستقلة والتابعة. وعليه يمكن أن تشير الملاحظة الى أن الانتقال من المتغير المستقل الى المتغير التابع لا يتم مباشرة، بل يتطلب ذلك تدخل عامل آخر بين الاثنين.



والمتغير الوسيط بدوره يتأثر بالمتغير المستقل مثله مثل المتغير التابع ومنه يؤثر في المتغير التابع ولا يتأثر به. وبهذا نكون بنينا نموذجاً للتحليل يسمح للباحث الانتقال من الجانب التصوري الى الجانب العملي حيث ستخضع الفرضيات للواقع لتأكيدهما في المرحلة اللاحقة من البحث العلمي والمتمثلة في مرحلة المعاينة.

المحاضرة الثانية عشر: مرحلة المعاينة

في هذه المحاضرة، سوف نحاول التطرق لمرحلة أخرى من مراحل البحث العلمي، والمعروفة بمرحلة المعاينة أو مرحلة جمع المعطيات.

فبعد الانتهاء من عملية بناء الموضوع تبدأ مرحلة جمع المعطيات والمعلومات التي تشكل فيما بعد اللبنة التي بواسطتها يتم بناء الموضوع بصورة مجسدة (أي بصورة ملموسة). ويتم عادة جمع المعطيات عبر ما يعرف بالبحث الميداني والوثائقي.

ويمكن تصنيف المعطيات بوجه عام الى نوعين :

• معلومات جاهزة : و نقصد بها تلك المعلومات التي نجدها في الوثائق سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة (مسجلة، متلفزة، مصورة، مرسومة، صوتية...).

هذه المعطيات الجاهزة، هي معطيات موظفة ومستخدم بكيفية ما لتدل على دلالة ما، و حسب التصور الذي وجهها تبعا لأهداف التي رسمت لها، وبناء فرضيات محددة سواء كانت صريحة أو ضمنية.

• معطيات منتجة : نقصد بها تلك المعلومات المولدة من البحث الميداني و التي يحصل عليها الباحث عبر استخدام تقنيات لذلك مثل الاستمارة بأنواعها، المقابلة بأنواعها، و كذا الملاحظة أيضا بأنواعها. هذه التقنيات معروفة بتقنيات البحث الميداني. هذه المعطيات هي الأخرى جرى اختيارها من مجموع المعطيات والمعلومات الأخرى وفقا لأهداف البحث وفرضياته .

1. مفهوم البحث الميداني:

يعد البحث الميداني إحدى الأدوات التي تستخدمها العلوم الاجتماعية بهدف استقصاء المعطيات اللازمة لبناء الموضوع والتحقق من عناصر الاشكالية العامة المحددة سلفا. وكتعريف أولي اجرائي فان اجراء بحث ميداني يعني مساءلة عدد معين من الأفراد بهدف الحصول على المعلومات اللازمة والتي سوف تساعدنا من التحقق من الاشكالية (غالبا ما تكون المسألة مرفوقة بتسجيل ملاحظات مباشرة)، وذلك من خلال خطاباتهم التي تتعلق عادة بوضعهم وآرائهم حول وضع معين. ويجب أن ننوه الى أن اجراءات البحث الميداني لا يحدث في فراغ اجتماعي الذي يضمن له الموضوعية المتوخاة، فالبحث يجري في وضعية خاصة من التفاعل الاجتماعي، وهي وضعية مهيكلة ومنظمة ومؤطره.

ومن شأن وجود الوضعية على هذا الحال أن يكون لها تأثير خفي أو ظاهر على طبيعة ونوعية المعلومات والآراء المعبر عنها من قبل المستجوب.

عندما نتحدث عن الوضعية، فهنا نتحدث عن الظروف المحيطة بالباحث والمبحوث معا أثناء عملية التفاعل بينهما أي أثناء اجراء المقابلة أو أثناء تواجد الباحث في الميدان وتسجيل ملاحظات مباشرة.

مثال: لنفترض أن الباحث يقوم بدراسة حول الاتصال الرسمي داخل المؤسسة، فميدان الدراسة سيكون حتما فضاء رسمي، وتواجده هناك يتطلب الحصول على موافقة المدير. لنفترض أنه بعد اجراء دراسة استكشافية أولى استطاع الباحث أن يكتسب ثقة المستخدمين، والذي يتطلب عمل كبير مرهون بمدى التزامه بالروح العلمية (العودة الى المحاضرات السابقة)، وكذلك التزامه بالتواجد اليومي داخل المؤسسة، اذن هنا الوضعية ستكون ملائمة

للباحث ليتحصل على المعلومات التي يريدتها لأن المبحوث سيجد نفسه في حالة استرخاء ويتصرف على سجيته كما ان خطابه سيكون ثري وقريب من الواقع. على عكس مثلا لو أن الباحث اختار يوما تحصل فيه المستخدمين على تعليمة رسمية تفرض عليهم الامتثال لقواعد تنظيم العمل، فهنا الوضعية ستتغير وستأثر على طبيعة المعلومات التي سيتحصل عليها الباحث، سواء من خلال خطاب هؤلاء أو حتى من خلال تصرفاتهم ولكن تبقى المعلومات التي يتحصل عليها الباحث مهمة في دراسته لأنه سيتمكن من ملاحظة عدة وضعيات لتأثير الاتصال الرسمي على المستخدمين.

ان المواد (يعني المعلومات) المتحصل عليها في هذه الوضعية هي التي ستكون موضوع معالجة وتحليل لاحق، ما هي الا مواد لفظية، الأمر الذي يطرح مسألة المعنى *le sens* ويتجلى ذلك في صور مختلفة من التأويل وبالتالي يطرح مسألة الادراك الصحيح للمعاني المستخلصة.

يجب الاشارة الى نقطة أساسية كثيرا ما يغفل عنها الكثيرون، خاصة من هم في مرحلة اكتساب الروح العلمية ومختلف الاستعدادات الذهنية، ان مرحلة المعاينة أو بالأحرى مرحلة البحث الميداني هي تكملة للدراسة الاستكشافية خاصة البحوث الكيفية. فالدراسة الاستكشافية تكون كمرحلة تمهيدية تهدف التعرف على معطيات حقل البحث وأوضاعه.

يقسم البحث الميداني الى مجموعة من الخطوات التي لا بد من اتباعها وتمثل في: تحديد العينة، تحضير الأدوات التقنية لجمع المعطيات وأخيرا معالجة وتحليل هذه المعطيات.

2.1 مراحل البحث الميداني:

تبدأ المرحلة العملية *Phase opérationnelle* لإنجاز البحث بمجرد تحديد الجوانب النظرية للموضوع.

1.2.1 تكوين عينة البحث: المجال البشري

تعرف العينة كمجموعة صغيرة من الأفراد تنتمي الى مجال واسع من القطاع المدروس، أو "مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين"⁶² مختارة بكيفية تمكن من التأكد على نفس الخصائص التي جرت ملاحظتها فيها، موجودة بنفس النسبة في مجموع السكان الذين اقتطعت منهم هذه العينة. وتعبير آخر: دراسة عينة تعني دراسة جزء من الكل. على أن هذا الجزء له من الخصائص ما للكل. ويرتكز مفهوم العينة على مسلمة أساسية

هي: أن معرفة الجزء يخبرنا عن الكل، وهي مسلمة منهجية مستعارة من منهج العلوم الطبيعية .

⁶² موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص301.

مثلا: لمعرفة نسبة السكر في دم الانسان، لا حاجة للباحث أن يحلل كل الدم الموجود عند الشخص يكفي أن يأخذ عينة صغيرة منه .

غير أنه في العلوم الاجتماعية العينة ليست لها هذه الدرجة من اليقين، الا أن كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية يتفقان على أنه من المستحيل اختبار الكل، ان كان كبيرا وأنه توجد امكانية معرفته عبر جزء منه. وتخضع العينة الى شروط محددة متعلقة باختصار بالتمثيلية والتعميم، والتعميم مرتبط ارتباط شديد بالشروط الاول المتمثل في التمثيلية.

عملية اختيار العينة تطرح نوعين من الأسئلة، من نختار؟ وكيف؟

ان تحديد هوية العينة ونوعيتها وخصائصها يستلزم اليقظة النظرية في تدقيق طابعها المتجانس بقدر الامكان: يمكن ان تكون العينة مجموعة من العمال، الشباب او سكان حي معين...وعليه فلا بد من تحديد ما يفهم من هذه المجموعات الاجتماعية .

-اذا كان الامر يتعلق بالشباب يجب تحديد مقاييس لما يفهم من الشباب (كتحديد السن الأقصى و الأدنى، او تحديد علاقتهم بالعمل : عاطل عن العمل، عامل، في أي نشاط)

-يحرص أثناء اختيار العينة، على أن توجد في أفرادها نفس الخصائص لمجموع السكان أي أن يكون توزيع متغيرات السن، الجنس، الفئة الاجتماعية، المهنة...متماثلة.

-و يحرص أن تكون العينة المحتفظ بها ممثلة للبقية.

باختصار فعملية استخراج العينة لإجراء اختبار عليها لا بد ان تخضع الى شروط ومقاييس محدد متعلقة بالتمثيلية والتعميم.⁶³

في البحوث الكيفية، غالبا ما يطرح اشكال في استخدام مصطلح العينة، لأنه في بعض الدراسات يصعب اختيار العينة بالمفهوم الذي تشير اليه اصطلاحا، وتأخذ تسمية اخرى تتمثل في مجتمع الدراسة، خاصة في الدراسات الكيفية التي لا تبحث عن التمثيل ولكن تركز على استخلاص المعاني.

أما عن أشكال العينة فهي كثيرة ومتنوعة، تتحدد هي الأخرى حسب طبيعة الدراسة والاهداف المسطرة. فهناك العينة من صنف الاحتمالية التي تركز على مبدأ لكل وحدة احصائية مكونة لمجتمع البحث فرصة متساوية

⁶³ سعيد سبعون، حفصة جرادى، مرجع سبق ذكره، ص136.

للظهور في العينة، وهي تعتمد على نظرية الاحتمالات ونجدها على شكل: العينة العشوائية البسيطة، العينة المنتظمة، العينة الطبقية، العينة العنقودية، العينة المجالية.

وهناك العينة من صنف غير الاحتمالية وهي على عكس الأولى يكون الاختيار غير احتمالي ولكن بالعكس يكون الاختيار موجه ومقصود ولا يوجد احتمال او صدفة في التساوي لكل عنصر للظهور في العينة بل يعرف الباحث الى حد ما من هي العناصر التي سيتم اختيارها في العينة ومن أشكالها: العينة الحصصية، العينة العرضية، العينة التراكمية المعروفة بكرة الثلج.

2.2.1 تقنيات البحث الميداني

لقد وضعت العلوم الاجتماعية، على غرار العلوم الطبيعية وسائل من أجل تفحص الواقع، فبمجرد تحديد اشكالية البحث يجب الانتقال الى تنظيم عملية جمع المعطيات الضرورية للتحقق منها (الإشكالية).

تقنيات البحث الميداني في العلوم الاجتماعية تشمل على الملاحظة، المقابلة والاستمارة والمعروفة أيضا بالاستبيان، ويتوقف قرار تبني هذه التقنية دون الأخرى على التقييم الموضوعي لإمكانات التقنية نفسها وحدودها وذلك انطلاقا من تحديدها لإشكالية البحث، وعليه فان معرفة مميزات وكذلك مزايا مختلف تقنيات البحث وعيوبها يعتبر أمرا اساسيا.

أ/ الملاحظة :

الملاحظة تعد تقنية مباشرة للتقصي، تستعمل عادة في مشاهدة مجموعة ما قد تكون جماعات فردية، أسرة، قرية، مدينة.... بصفة مباشرة وذلك بهدف أخذ معلومات كيفية، اي معلومات نوعية من أجل فهم المواقف والسلوكيات. فالملاحظة هي احدى الوسائل المهمة في جمع البيانات وهناك قول شائع بأن العلم يبدأ بالملاحظة ويعود في نهاية ليثبت صحتها.

تبرز أهمية هذه الوسيلة في الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية والنفسية. ويقول العالم دي قرو " ان الملاحظة في البحوث تستخدم لجمع البيانات التي يصعب الحصول عليها عن طريق المقابلة والاستمارة"، ونجد استخدام البحوث في البحوث الاستكشافية والوصفية والتجريبية.

الملاحظة تأخذ أشكالا مختلفة: ملاحظة بالمشاركة، الملاحظة المباشرة، الملاحظة غير المباشرة.

يعتمد البحث الكيفي على المقابلة كتقنية مناسبة من خلال تحقيقها لأهداف المنهج الكيفي المتمثلة في الفهم والادراك. في المراحل الأولى من البحث، تساعد المقابلة على الكشف عن الأبعاد العامة للمشكلة وفي بناء الفروض، كما تساعد في الفاء الضوء على الأطر المرجعية لاستجابة أفراد المجتمع.

تعريفها: المقابلة كأداة للبحث هي حوار لفظي وجها لوجه بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو مجموعة من أشخاص آخرين. وعن طريق ذلك يحاول القائم بالمقابلة الحصول على المعلومات التي تعبر عن الآراء، أو الاتجاهات، أو الادراكات، أو المشاعر أو الدوافع أو السلوك في الماضي أو في الحاضر.

ان استكشاف الواقع المعاش يتطلب جمع خطابات عن طريق المقابلة وهذا لتتضح أفكار الفاعلين المتعلقة بسلوكياتهم الاجتماعية وحالاتهم العقلية.

تعتمد المقابلة على عملية الاتصال اللغوي وذلك بهدف جمع معطيات لها علاقة مع الهدف المرسوم في البحث. أي أنها موقف للتفاعل الاجتماعي المباشر بين الباحث والمبحوث.

ما يميز المقابلة عن غيرها من أدوات البحث السوسولوجي، انها أكثر مرونة وانها تيسر لدرجة أكبر ملاحظة المبحوث و التعمق في فهم الموقف الكلي الذي يستجيب فيه للمقابلة، كما يمكن للقائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوث ما قد يكون غامضا من السؤال، و أن يكشف عن التناقض في الاجابات، و أن يرجع للمبحوث لتفسير هذا التناقض. عموما المقابلة تتكون من ثلاثة عناصر أساسية :

- القائم بالمقابلة ← أو المعروف بالباحث (L'enquêteur)
- المبحوث ← l'interviewé
- موقف المقابلة: عملية اجتماعية تجري بين الباحث والمبحوث (عملية تفاعل دون حدوث تأثير خاصة على الباحث الذي لا بد أن يبقى حياديا، فطنا، منتبها لكلام المبحوث).

هناك ارتباط وثيق بين هذه العناصر الثلاثة، على نحو يؤثر في النتائج العامة للمقابلة، ويتوقف نجاح المقابلة الى حد كبير على مهارة القائم بها (الباحث)، ومدى فهمه لدوافع السلوك، ودرجة وعيه وادراكه لمختلف العوامل في موقف المحيط به، والتي يمكن أن تدفع المبحوث الى الوقوف موقفا سليبا من الباحث، أو اعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق والثبات.

تحتاج المقابلة الى مهارة وخبرة وتدريب، يكتسبها الباحث عن طريق الممارسة العلمية والنزول الى الميدان، والاحتكاك بأفراد مجتمع البحث، ونجد أن هناك بعض الارشادات مستخلصة من خبرات باحثين في الميدان تساعد الباحث في قيامه بالمقابلة، منها:

- ان نجاح المقابلة ودقة الحصول على البيانات المطلوبة يتوقفان الى حد كبير على مدى فهم الباحث للأشخاص الذين يواجههم وقدرته على تطوير العلاقة بينه وبين المبحوثين.
(شرح: الباحث يسعى الى استثارة المبحوث للإجابة، ولا شك أن درجة الاستعداد للاستجابة يختلف باختلاف الدور الذي يقوم به الباحث وباختلاف المجتمع الذي يجري فيه البحث ونوع الثقافة السائدة، كل هذه العناصر يجب أن يأخذها الباحث في الحسبان، لأن المبحوث يجد نفسه أمام شخص غريب لا تربطه بالباحث أية صلة سابقة وهو مطالب بالإدلاء بمعلومات عن حياته الخاصة، أفكاره، توجهاته....) لذلك على الباحث أن يعمل على كسب ثقة المبحوث (غالباً ما يبدأ هذا العمل في الدراسة الاستكشافية، كما تم شرحه في المحاضرات السابقة)، كما أن المقابلة لا بد أن تبدأ بمقدمة مختصرة يشرح الغرض من المقابلة، ويبين أن البيانات المطلوبة لن تستخدم الا لغرض البحث العلمي.
- على الباحث أن يكون مستعداً للمقابلة حتى يحصل على الفائدة منها وذلك عن طريق المناقشة والحوار، فلي تلقى الأسئلة بطريقة جامدة املائية. (هنا الحديث عن دليل المقابلة وتحضيره مسبقاً، كحفظ الأسئلة)، من الأفضل أن يقرأ الباحث الأسئلة جيداً (يحفظها) ويتدرب عليها ومعرفة بدقة ترتيبها المنطقي، فيبدأ بالبسيط ويتدرج الى أن يصل الى مستويات أعمق فأعمق (النزول من العام الى الخاص).
- يستحسن أثناء المقابلة، تسجيلها على مسجلة أو تدوين الاجابات مباشرة بعد المقابلة وهذا تفادياً لنسيان بعض المعلومات ويتسبب ذلك في تشويه مجرى المقابلة .

أنواعها :

يمكن تصنيف المقابلات على أسس مختلفة، منها على أساس الدور الذي يقوم به الباحث مثل التوجيه أو عدم التدخل، فكلما تكثر الأوامر تعني أن المقابلة موجهة، وكلما قلت هذه الاوامر تكون غير موجهة أو نصف موجهة. على ان أكثر المقابلات استخداماً هي :

المقابلة الحرة (المعمقة)، المقابلة الموجهة، المقابلة نصف موجهة.

-**المقابلة الحرة** : هي نوع من المقابلة تتميز بالمرونة المطلقة، فلا تحدد فيها الأسئلة التي ستوجه للمبحوث، و يكتفي الباحث بطرح سؤال عام و يترك قدر كبير من الحرية للمبحوث للإفصاح عن آرائه و اتجاهاته و انفعالاته و مشاعره و رغباته و يكون تدخل الباحث في هذا النوع من المقابلات ضعيف جدا على أن يقوم باسترسال المبحوث من خلال اعادة بعض من أجوبته حتى يتعمق أكثر في أفكاره كأن يكون الباحث : قلت أن اهتمامك قليل بالسياسة رغم تصفحك للجرائد يوميا....

-**المقابلة شبه أو نصف موجهة** : هي نوع وسيط بين المقابلة الحرة و المقابلة الموجهة، فهي ليست حرة تماما و لا محصورة بعدد كبير من الأسئلة الدقيقة، بشكل عام تكون لدى الباحث سلسلة من الأسئلة المفتوحة نسبيا. خلال المقابلة يقوم الباحث بنوعين من التدخلات، الأول يخص الاوامر الاساسية التي توضح عناصر الموضوع الكبرى، اما الثانية هي علائقية مثل الاستماع الجيد للمبحوث، الانتباه واعطاء الاهمية للمعلومات المقدمة من طرف المبحوث كاسترساله بالقول مثلا: اذن العمل هنا في المؤسسة فتح لك مجال لتوسيع خبراتك.

-**المقابلة الموجهة** : يتحدد هنا شكل و مضمون المقابلة بقدر كبير قبل القيام بها، فتوضع قائمة من الأسئلة يلتزم بها الباحث مع كل المبحوثين، و توجه الأسئلة بنفس العبارات و بنفس الترتيب لجميعهم و يهدف تقنين الأسئلة الى أن الأفراد يستجيبون لنفس المثير و المنبه. أي الباحث يعرف جيدا ما يريد من معلومات. وغالبا ما يستخدم هذا النوع من المقابلات في الدراسات الكيفية والكمية معا، أو الدراسات الكيفية التي هي بصدد أن تتحول لاحقا الى دراسة كيفية إذا ما أراد باحث آخر دراستها .

ج/ الاستمارة :

تعتبر استمارة البحث أو الاستبيان (le questionnaire) من أكثر أدوات جمع البيانات استخداما و شيوعا في البحوث الاجتماعية، و يرجع ذلك الى خصائص هذه الأداة، سواء لاختصار الجهد أو التكلفة أو سهولة معالجة بياناتها بالطرق الاحصائية، فهي من التقنيات الأساسية للبحوث الكمية، غير أن السهولة التي توفرها هي التقنية و التي هي ظاهرة بشكل واضح تخفي و راءها عددا كبيرا من الصعوبات المنهجية و التي يتعين على الباحث مواجهتها حتى يتمكن من صياغة استمارة بحث بصورة تحقق أهداف الدراسة و تمكنه من الاجابة على التساؤلات الأساسية للبحث، و يكون دليل الاستمارة كنتيجة للعمل المنجز طوال فترة بناء النموذج التحليلي. أي أن مصدر أسئلة الاستمارة يكون من عملية بناء المفاهيم أو المتغيرات " يتم اعداد الأسئلة وفقا للمؤشرات

المتولدة من التحليل المفهومي. بصفة أدق، يؤدي كل مؤشر الى طرح سؤال أو أكثر كما يكون كل جزء من وثيقة الاستمارة مطابقا لمفهوم أو متغير من فرضية" ⁶⁴

تعريفها :

تعرف الاستمارة على أنها أداة ملاحظة وجمع معطيات، وعلى نحو أدق " أداة لتنظيم صارم لنص الأسئلة وترتيبها" ⁶⁵ يعرفها أيضا موريس أنجرس على أنها: "...تقنية مباشرة لطرح الأسئلة على الأفراد وبطريقة موجهة، ذلك ان صيغ الاجابات تحدد مسبقا، هذا ما يسمح بالقيام بالمعالجة الكمية بهدف اكتشاف علاقات رياضية، واقامة مقارنات كمية" ⁶⁶، وهي بمعنى من المعاني أداة اتصال بين الباحث والمبحوث عبر أسئلة منظمة ومتسلسلة طبقا لأهداف البحث يتم معالجتها كميًا. يجب الاشارة هنا الى أن الأسئلة المراد طرحها على عينة البحث لا يجب أن تكون بأي طريقة كانت. يتميز التحقيق باستخدام الاستمارة، كونه يهدف الى التثبت من فرضيات نظرية وفحص الترابطات التي توحى بها هذه الفرضيات، وبناء عليه، فان البحث باستخدام هذه الأداة تكون بشكل عام معدة ومتناسكة أكثر. وبما أن عدد الأشخاص المستجوبين يكون كبيرا عموما (العينة) فان معالجة المعلومات ستكون كمية.

هناك مجموعة من الشروط يجب مراعاتها عند صياغة الأسئلة التي تتضمنها استمارة البحث:

-أسئلة الاستمارة تستقى من مؤشرات مفاهيم أو متغيرات الفرضيات و بهذا يكون محتواها محددًا بأهداف الدراسة التي تجد تعبيرا لها مع فرضية أو فرضيات البحث، وان أسئلتها هي ترجمة للمؤشرات التي تم استخلاصها من المفاهيم أو متغيرات الفرضية.

-يجب أن تكون الأسئلة بسيطة و واضحة و بعيدة عن التعقيد اللفظي بحيث لا تقبل اللبس أو اساءة الفهم.

-يجب أن تساغ بكيفية تكون اجابتها قاطعة و بسيطة بقدر الامكان كأن تكون الاجابة بنعم أو لا.

-تجنب الأسئلة المخرجة أو تلك التي تمس جوانب حساسة مما يعتبر تدخلا في أمور شخصية

-غالبا ما يراعى عند ترتيب الأسئلة من العام الى الخاص.

يمكن بيان مفهوم الاستمارة المكتوبة من جانبين: مضمون الأسئلة وشكلها:

⁶⁴ Quivy Raymond, Campenhoudt Luc Van, op.cit., p168

⁶⁵ مادلين غراويتس (ترجمة د. سام عمار)، مناهج العلوم الاجتماعية: الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، المركز العربي للتعريب والترجمة، دمشق، 1993. ص

⁶⁶ موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الانسانية، مرجع سبق ذكره، ص204.

أ/ مضمون الأسئلة: نعني بها صنف من الأسئلة المختارة المحتمل أن تطرح على أفراد العينة، طبعا عدد الأسئلة وطبيعتها مرهون بما يراد معرفته واثباته ولكن يمكن تقسيم هذه الأسئلة على أكثرها وتنوعها الى صنفين:

-أسئلة متعلقة بالواقع و هي أسئلة تبدو سهلة في تصميمها و طرحها مثل الأسئلة المتعلقة بالحالة المدنية:

• مثال : ماهي حالتك المدنية : أعزب متزوج مطلق أرمل

ما هو عدد الأطفال في الأسرة: 1 أكثر من 2 أكثر من 5

هذا النوع من الاسئلة يتعلق كما يبدو بالظروف الموضوعية والمعاشة والتي يمكن التأكد من صحة وجودها من مصادر مختلفة وبواسطة وثائق محددة (شهادة الحالة المدنية، عقد زواج).....

-أسئلة متعلقة بالآراء : و هي أسئلة تستهدف الحصول على الأحكام الشخصية و الآراء و النوايا و المعتقدات و الأسباب التي يعطيها المستجوب لأفعاله و الأوضاع التي يعيشها.

ب/شكل الأسئلة: ان شكل الأسئلة المختارة والمطروحة يمكنها أن تعدل المعارف الموجودة عند أفراد عينة البحث، فالطريقة التي تصاغ بواسطتها أسئلة الاستمارة تبدو هنا هامة: يجب ان تكون واضحة، دقيقة ذات دلالة في صلتها بأهداف البحث. شكل الأسئلة قد يكون مفتوحا أو مغلقا.

-الأسئلة المفتوحة : يترك للمبحوث نوع من الحرية في تنظيم اجابته كما يشاء سواء من حيث الشكل أو المضمون، مثل : ما نوع العلاقة التي تربطك بزملاء العمل؟ كيف تنظم أوقات فراغك؟ ما رأيك في طريقة العمل؟

تفريغ هذا النوع من الأسئلة غير مريح نوع ما، لأنه يتطلب تحليل للمضمون بالتالي لا يبحث الباحث هنا عن الرقم ولكن عن معطيات كيفية.

-الأسئلة المغلقة : على عكس الشكل الاول، فهنا لا يترك للمبحوث الا امكانية اختيار اجابات محددة بنعم أو لا، موافق، غير موافق...فهي مطروحة بكيفية يمكن استغلالها فيما بعد بكل سهولة.

- هناك نوع آخر الى جانب هاذين الشكلين من الأسئلة، و هي أسئلة ذات اجابات جاهزة مثل:

• ما هي الأسباب التي دفعتك لاختيار التخصص؟

1- التخصص يتناسب واهتماماتك الثقافية ■

2- التخصص يستغرق وقت قصير ■

3- الاختيار كان عن طريق تقليد عائلي ■

وهذا النوع من الأسئلة يجد فيه المبحوث نفسه مقيد.

المراجع باللغة العربية:

1. عياد أحمد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
2. شروخ صلاح الدين، منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر، عنابة، 2003.
3. أنجوس موريس، منهجية البحث في العلوم الانسانية، (ترجمة) بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004.
4. الخولي أسامة، مناهج البحث العلمي، وحدة أم تنوع، مجلة علم الفكر، م2، ع1، وزارة الاعلام الكويتية، 1989.
5. د. عمار بوحوش، د. محمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق اعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
6. أ.د. عمار بوحوش (تحت اشراف)، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، المركز العربي الديمقراطي، برلين، 2019.
6. سبعون سعيد، جراي حفصة، الدليل المنهجي لإعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012.
7. معتوق جمال، منهجية العلوم الاجتماعية والبحث الاجتماعي، ط1 بن مرابط للنشر، الجزائر، 2009.
8. بلقاسم سلاطنية، الجيلاني حسان، محاضرات في المنهج والبحث العلمي: الكتاب الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
9. مادلين غراويتس، مناهج العلوم الاجتماعية: الكتاب الثاني، (ترجمة: سام عمار)، المركز العربي للتعريب والترجمة، دمشق، 1993.
10. أنول باتشيرجي، المبادئ والمناهج، (ترجمة خالد بن ناصر آل حيان)، دار اليازوري العملية للنشر والتوزيع، الرياض، 2015.
11. أ.د. عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية، ط5، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2014.

12. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي : صياغة جديدة، مكتبة الرشد، الرياض، 2005.

المراجع باللغة الأجنبية:

13. Campenhoudt Luc Van, Quivy Raymond, Manuel de recherche en sciences sociales, 4ème édition, DUNOD, paris, 2011.

14. Deslauriers J.P, Recherche qualitative, Mac Graw-Hill Editeurs, Montréal, 1991.

15. BACHELARD Gaston., Le Nouvel esprit scientifique. 9è éd, Paris, P.U.F. 1996.

16. Bourdieu Pierre, Chamboredon Jean-Claude et autre, Le métier du sociologue. Préalables épistémologiques, Mouton et EHESS, 1968.

17. Noël Soumaho Mesmin. Eléments de méthodologie pour une lecture critique. Paris, L'Harmattan, 2003